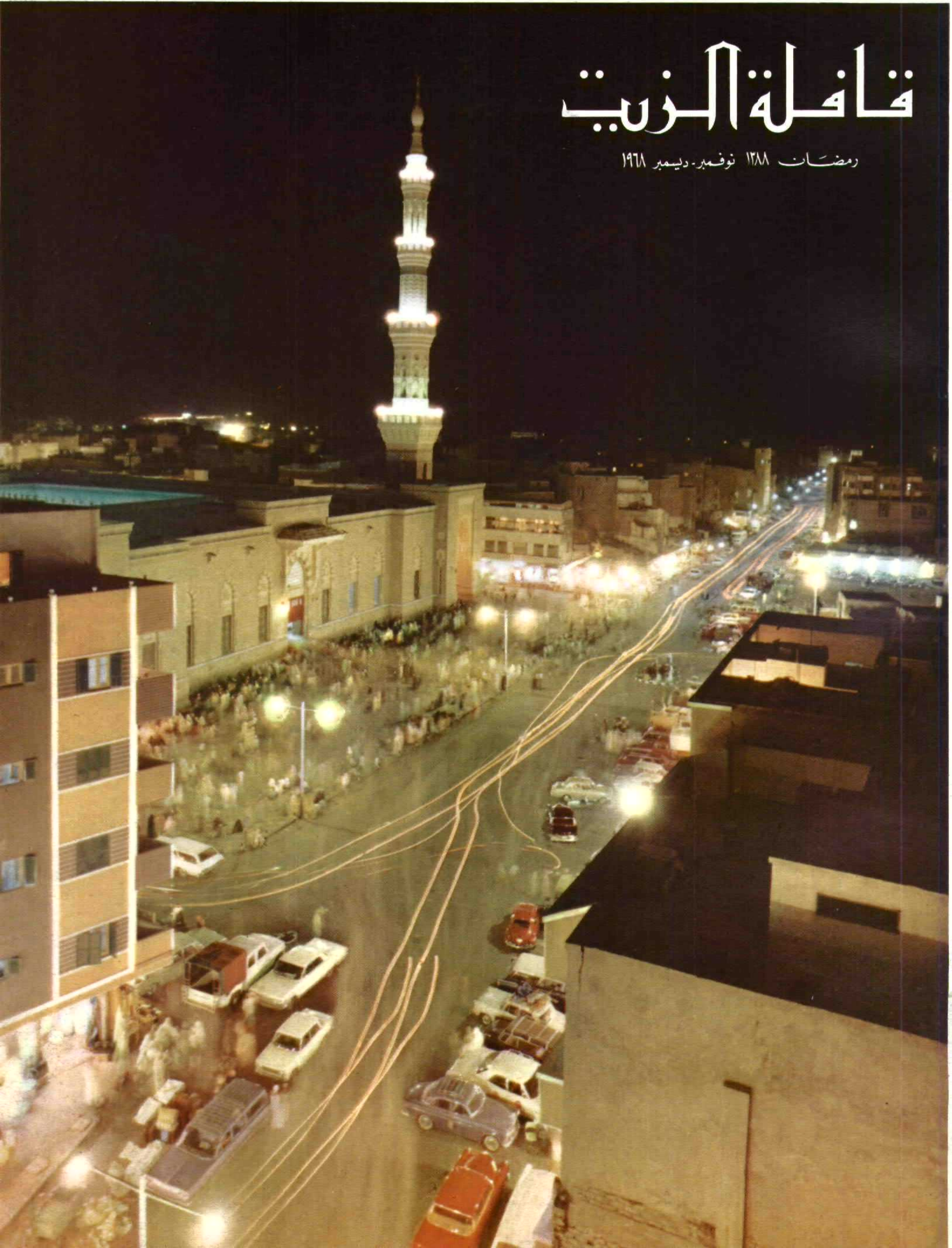


قافلة الزيت
رمضان ١٣٨٨ نوفمبر - ديسمبر ١٩٦٨

بسم الله الرحمن الرحيم

قافلة الزيت

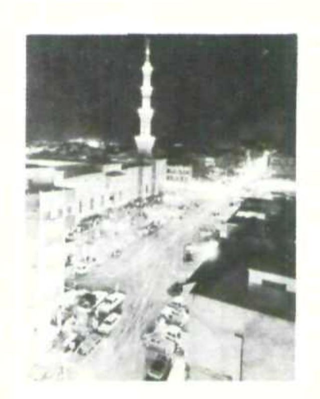
العدد التاسع المجلد السادس عشر

تصدر شهرياً عن :
شركة الزيت العربية الأمريكية
لموظفي الشركة - توزع مجاناً

رئيس التحرير
والمدير المسؤول منصور مدني
المحرر المساعد عوني أبو كشك

العنوان : صندوق رقم ١٣٨٩
الظهران ، المملكة العربية السعودية

صورة الغلاف



في ليالي رمضان المباركة يزدان الحرم النبوي الشريف في المدينة المنورة بحلة من نور ، وتتوافد اليه جموع المسلمين من كل صوب .

تصوير شيخ أمين

محتويات العدد

القافلة تسير

الصوم روح وروحانية .... رئيس التحرير ٢

آداب

امضاءات وألقاب .... وديع فلسطين ٩
الأسلوب في القصة .... حسين القباني ١٥
كبير السماح دقيق الحساب (قصيدة) .... محمد حسن عواد ١٦
مجلة الرسالة .... الغزالي حرب ١٧
علمتني الحياة (قصيدة) .... أنور العطار ٣٤

علوم

كهربائية الجو والصواعق .... د. نقولا شاهين ١١
مستقبل صناعة الزيت .... حكمت حسن ٢٥

استطلاعات

جدة ، عروس البحر الأحمر .... عصام العماد ٣٩

تاريخ وتراجم

أهم الاحداث في شهر رمضان .... عبد القدوس الانصاري ٣
مكة القديمة في رمضان .... أحمد السباعي ٧
ابن خفاجة الأندلسي .... د. محمد حاج حسين ٣١

قصة

الأندلس المعطاء .... عبد الله حشيمة ١٩

كتب

فن الترجمة في الأدب العربي .... أبو طالب زيان ٣٥
الحركة الأدبية في العالم العربي ٣٨

مطابع المطوع
P.O.B. 343, DAMMAM, SAUDI ARABIA - TEL. 4331 - CABLE: ALMUTAWAPRESS

الصيام روح وروحانية

كنت يوما في زيارة صديق لي طبيب في عيادته ، فقال : سأخبرك سرا . أترى مرضاي هؤلاء الذين تغص بهم القاعة ؟.. لقد كان بامكان عدد كبير منهم أن يوفروا الجهد والمال الذي يصرفونه في عيادات الأطباء أو أروقة المستشفيات .

قلت : كيف ؟

قال : يشكو جلهم من أمراض ناجمة عن الشره .. فهذا مصاب بالبطن ، وذلك ازداد وزنه زيادة غير طبيعية ، وهلم جرا . وأهم ما أوصيهم به كطبيب هو الاقلال من الطعام ، فليست العبرة – كما تعلم – بكميته ، انما باحتوائه على العناصر الضرورية لبناء الجسم ، كالبروتينات والفيتامينات والأملاح .

وسكت هنيهة ، ثم استطرد : وقد أولت الأديان السماوية هذا الأمر عناية ، ففرضت الصوم على بني البشر ، لما فيه من راحة للمعدة من عناء كابدته أحد عشر شهرا متتالية .

قلت : وفيه أيضا سمو بالروح ، وصفاء في الفكر .

قال : لا ريب .. فالتخمة تورث ترهل الجسم والفكر معا وتبلد المشاعر . ولا تتحقق المنفعة الجسمية من الصيام ان حاول الصائم أن يملأ معدته بالطعام ساعة الافطار .

قلت : .. فهو حينذاك يكون كمن ينقم من نفسه لبقائه ساعات بدون طعام وشراب .

وفي الصيام إحساس نبيل بمشاركة المحرومين شعورهم . وفوق هذا وذاك فيه كسب لمرضاة الخالق : « الصوم لي وأنا أجزي به » .

قال : وفي شهر الصيام متعة وسرور ، لا تزال ذكراهما عالقة بذهني مذ كنت صغيرا ، فقد كنت أغبط والديّ على الصيام ، وأحاول التشبّه بهما ، وأتمنى أن أكبر بين عشية وضحاها فأصبح مثلهما . وكان يغريني السحور لما فيه من تغيير لروتين المائدة اليومي ، وتطربني أصوات باعة المأكولات الذين تعج بهم الأسواق قبيل الافطار ، وهم يعلنون عن بضائعهم بأصوات شجية .

وفي لياليه يحلو السهر ، فيتجمع الناس أفواجا يتسامرون ويتبادلون الملح والطرائف . وقبل العيد بليال تعج الأسواق بالمرتادين من مختلف الأرجاء .

قلت : والصائم يشعر بنقاء النفس وصفاء الروح . وما أحوجنا الى ذلك في عصر كعصرنا تكاد الماديات أن تطغى فيه على الروحانيات . ففي رمضان تعمر المساجد بالركع السجّد ، الذين يغمر نفوسهم الايمان والاتجاه باخلاص الى مبدع الكون ، منادين ان « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة .. »

قال : وعلى الرغم مما سبق فاني لأعجب من أشخاص يتهربون من الصيام بشتى الأعذار .. وجلهم يتذرع بجهد العمل ، مع ما هو معروف من تخفيض ساعات العمل خلال رمضان .

قلت : أولئك قوم خفي عليهم ما في الصيام من منافع أثبتها العلم ، وهم على ما يبدو لا يستطيعون عن الطعام صبرا ، وكأنهم انما يعيشون حياتهم ليأكلوا .

رئيس التحرير

أهم الأحداث في شهر رمضان

منذ بدء حتى أوائل النصف الأخير من القرن الرابع عشر الهجري

بقلم الاستاذ عبد القدوس الانصاري

يقع شهر رمضان المبارك ، في أول الثلث الثالث ، من السنة الهجرية . ويفصل بينه وبين اثنين من الأشهر الحرم ، وهما : « رجب » و « ذو القعدة » ، شهران ليسا من هذه الأشهر الحرم هما : « شعبان » و « شوال » .

ولشهر رمضان مكانة روحية خاصة في نظر المسلمين ، فهو شهر عبادة وسمو ، وشهر تآزر وتواس بين المسلمين ، وفيه نزل القرآن المجيد . وصوم نهاره من الفجر الى دخول الليل فرض « عيني » على كل مسلم مقيم صحيح الجسم والعقل وبالغ وقادر .

وكان فرض صومه ، في السنة الثانية من الهجرة النبوية من مكة الى المدينة .

وصومه علاوة على فرضية ادائه كما أسلفنا ، فهو ركن من أركان الاسلام الخمسة ..

وأهم أحداث شهر رمضان ، منذ بدأ حتى اليوم كثيرة وفيرة . واحصاؤها يقتضي بحثا أسهب وأوسع وأشمل مما يقتضيه مقال واحد .. وتنقيبا أوفر في بطون الكتب ، ما بين عربية وغربية . فما كل أهم أحداثه مدون في كتب التاريخ المتداولة بيننا . ثم ما كل كتب التاريخ بموجودة لدينا . وكثير من أحداث شهر رمضان الهامة قد يرد في غير كتب التاريخ .. قد يرد في كتب السياسة والفقه والحديث والتفسير والطب والاجتماع وغير ذلك . وما هذه السطور القليلة بمحصية أهم أحداث شهر رمضان ، طيلة أربعة عشر قرنا . وبحسبها ، أن تكون « فتح باب » لهذا الميدان الواسع الكبير .

حفل شهر رمضان عبر التاريخ بأحداث ، نرتبها كما يلي :

ه في السنة الأولى للهجرة النبوية ، وفي شهر رمضان المبارك بني النبي صلوات الله وسلامه عليه بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

ه وفي العشرين من شهر رمضان ، من السنة الثانية من الهجرة المصطفوية كانت غزوة بدر الكبرى ، احدى الغزوات المهمة في تاريخ الاسلام . فقد نصر الله نبيه في أول معركة تدور رحاها فيما بينه وبين أعداء النور وعشاق الظلام من مشركي قريش .

ه وفي السنة الثانية أيضا فرض الله صيام رمضان على جميع المسلمين المقيمين البالغين العقلاء القادرين .. وكانت فرضيته بنص القرآن المجيد . كما أمر المسلمون ، أمر ندب ومثوبة حثيثا بأداء زكاة الفطر . وهي زكاة معينة المقدار والزمن ، تدفع من قبل الصائمين وغيرهم ، للفقراء من المسلمين في يوم عيد الفطر ، أو قبله بيوم أو يومين ، معاونة لهم وترفيها لهم في يوم العيد السعيد ، واشراكا لهم مع الأغنياء في متع العيد الميمون ، في صباحه المشرق على جميع المسلمين .

ه وفي منتصف شهر رمضان من السنة الهجرية الثالثة ، كان ميلاد الحسن بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه . والحسن بن علي والدته فاطمة الزهراء ، بنت رسول الله . وهو خامس الخلفاء الراشدين . وقد جمع الله به القلوب المتنافرة من المسلمين وألف بينهم بعد فرقة كاربة ، اذ تنازل

لمعاوية عن الخلافة حقنا لدماء المسلمين ، فجبر الصدع الذي اتسع عمقه ، فيما بين المسلمين ، بهذا الصنيع الايثاري الكريم الذي قلما يجود بـه الزمان .

• وفي العاشر من شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة ، كان فتح مكة المكرمة ، من قبل الجيش الاسلامي المظفر الذي كان يقوده الرسول بنفسه .

• وفي ٢١ من شهر رمضان سنة تسع للهجرة ، حضر وفد ثقيف الى الرسول عليه السلام وبايعوه وأسلموه .

• وفي ٣ من شهر رمضان في السنة الحادية عشرة للخرجة توفيت فاطمة الزهراء ، وكان عمرها ٢٩ سنة هلالية . وكانت برة تقية ، تسير في سيرتها وأخلاقها وعبادتها عـلى سنن والدها المصطفى .

• وفي شهر رمضان سنة ١٥ للهجرة كانت معركة القادسية التي انهزمت فيها دولة فارس ، أمام جيوش الاسلام الباسلة ، المندفعة في اخلاص عميق لنشر أضواء الاسلام على المعمورة الـتي سادها الظلم والظلام ، وعما الأنـام .

• وفي الخامس من شهر رمضان سنة ١٩ قتل أرسطوليس بن المقوقس والده الذي كان صاحب مصر اذ ذاك ، وقد أقام أرسطوليس واليا على مصر بدلا عن والده القتيل .

• وفي يوم ٢٢ من شهر رمضان سنة ١٩ اتفق ان كان أمير مصر : « عمرو بن العاص » وجنده يؤدون فريضة الجمعة اذ هاجمهم أربعة آلاف مقاتل من القبط ، على غرة ، وكان المسلمون ساجدين لله في الركعة الثانية الختامية لصلاة الجمعة . فقام الجند الاسلامي بالدفاع عن نفسه ونشبت معركة ضارية لم تبق باقية من المهاجمين القبط .

• وفي غرة شهر رمضان سنة ٣٦ هزم ابن خديج وشيعة عثمان ، جيش محمد بن حذيفة في المعركة التي حصلت يومها « بخربتا » من ضواحي غرب الاسكندرية ، وأقاموا بخربتا الى أن قدم معاوية بن أبي سفيان من الشام ، فمنعه ابن حذيفة من الدخول الى الفسطاط ، واتفقا على ترك الحرب ، وان يجعلا رهنا ، وخرج ابن حذيفة ، ضمن الرهن ، واستخلف على مصر ، الحكم بن الصلت . ولما وصل الرهن الى معاوية ، قبض عليهم ، وسجنهم ، ففروا ، فقبض عليهم وقضى عليهم ، في ذي الحجة ، ومن ضمنهم ابن حذيفـة صاحب مصر .

• وفي ١٥ رمضان سنة ٤٠ ، كان عـلي ابن أبي طالب ، رضي الله عنه ، خارجا لصلاة الصبح ، فتعرض له عبد الرحمن بن ملجم أحد زعماء الخوارج الحانقين ، فضرب الامام عليا بالسيف ضربة توفي من أثرها في ليلة الأحد الموافقة ١٧ رمضان سنة ٤٠هـ .

• وفي ٣٠ رمضان سنة ٤٣ كانت وفاة عمرو ابن العاص بمصر . وقد دفن بجبل المقطم ، وكان حينما توفي أميرا لمصر من قبل معاوية . وهو أول أمير عربي مسلم يتوفى هناك .

• وفي منتصف شهر رمضان سنة ٤٩هـ توفي الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ويقال : أن زوجه جعدة بنت الأشعث بن قيس الكنذي هي التي سمته فمات متأثرا به .. ومما يجدر ذكره أن الحسن بن علي كان ميلاده ووفاته كلاهما في منتصف شهر رمضان .. الميلاد في رمضان سنة ٣ . والوفاة في رمضان سنة ٤٩ .

• وفاة المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ، والمغيرة كما هو معروف ، صنو عمرو بن العاص في الدهاء والذكاء . وقد أسلم في عهد الرسول فصار من الصحابة الكرام . وكانت وفاته في شهـر رمضان سنة ٥٠ .

• وفي شهر رمضان سنة ٥٠ أيضا تولى زياد ابن أبي سفيان ، أحد دهاة العرب على الكوفة .

• وفي شهر رمضان سنة ٥٣ فتح العرب جزيرة رودس .

• وفاة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، وكان ذلك سنة ٥٨ ، ودفنت بالبقيع في المدينة المنورة .

• وفي يوم الجمعة الموافق غرة رمضان سنة ٦٤هـ بايع الناس بمكة المشرفة — عبد الله بن الزبير ابن العوام — بالخلافة .. كما بايعه بها ، أهـل البصرة والعراق والحجاز واليمن ومصر والشام .

• وفاة مروان بن الحكم أحد خلفاء بني أمية البارزين — وكان ذلك في غرة شهر رمضان سنة ٦٥ ، وقد خنقته زوجه : أم خالد بن يزيد ابن معاوية ، كما تفيد الروايات . وقد تولى بعده الخلافة ابنه عبد الملك .

• وفاة عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وكان أحد كبار الصحابة الذين لهم أثر بارز في دعم الدين الاسلامي عملا وقولا . وكان معمرا ، بلغ عمره ٨٧ سنة . توفي في شهر رمضان سنة ٧٣ .

• وفي رمضان سنة ٩١ بعث موسى بن نصير فاتحا للأندلس بقيادة طريف .

• في شهر رمضان سنة ١٢٩ ظهرت الدعوة لبني العباس في خراسان ، وكان زعيم هذه الدعوة أبو مسلم الخراساني .

• وفي شهر رمضان سنة ١٣٢ استولى عبد الله عم السفاح ، على دمشق عاصمة الدولة الأموية .

• وفي شهر رمضان سنة ١٤٥ ظهر ابراهيم ابن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي ابن أبي طالب . وكادت البيعة تتم لأخيـه بالخلافة ، الا أن أخاه قتل قبل ذلك .

• وفي شهر رمضان سنة ١٧١ حجت الخيزران والدة هارون الرشيد الخليفة العباسي ، وأقامت بمكة شهرا ، وتصدقت فيها بأموال كثيرة .

• وفي ٣ رمضان سنة ١٧٩ صرف الخليفة هارون الرشيد أخاه عبيد الله عن ولاية مصر ، وولى مكانه موسى بن عيسى العباسي الهاشمي ، وهي ثالثة ولاية له على مصر .

• وفي شهر رمضان سنة ١٩٨ ثار أهل قرطبة بالحكم بن هشام الأموي ، وحاربوه بسبب جوره .

• وفي مستهل شهر رمضان سنة ٢٠٠ عزل الخليفة المأمون ، المطلب عن امارة مصر ، وولاها السري بن الحكم .. وحينما قدم السري المولى على مصر — اليها ، لتسلم زمام الأمر من المطلب المعزول عن الولاية — دارت بينهما معارك انهزم على أثرها المطلب أخيرا .

• وفي شهر رمضان سنة ٢١٧ أسس العربُ مدينة « كانديا » بجزيرة كدن « كريت » .

• وفي رمضان سنة ٢٥٠ ظهر أبو الحسين يحيى علي بن الحسين بالكوفة ، في جمع من الناس . واستولى على مدينة الكوفة التي ظهر بها ، فجهز

اليه محمد بن عبد الله بن طاهر ، جيشا فقضى على يحيى .

• وفي شهر رمضان سنة ٢٥٤ تولى مصر ، الأمير أبو العباس أحمد بن طولون .

• وفي شهر رمضان سنة ٢٦٣ انتهى بناء جامع ابن طولون العظيم . وقد بلغت نفقات بنائه مائة وعشرين ألف دينار .

• وفي شهر رمضان سنة ٣١٤ هبت ريح عظيمة ، قلعت أشجار مدينة نصيبي وهدمت دورها .

• وفي يوم ٩ رمضان سنة ٣٦١ تم بناء الجامع الأزهر ، وهو ثالث جامع بني في مصر ، وسمي بالأزهر ، نسبة الى السيدة فاطمة الزهراء . وبانيه هو القائد التونسي جوهر .

• وفي الخامس من شهر رمضان سنة ٣٦٢ استولى المعز لدين الله ، على القاهرة .

• وفي رمضان سنة ٣٦٨ فوض العزيز لدين الله، ليعقوب بن يوسف النظر في سائر الأمور ، وجعله وزيرا له .

• وفي ٢٦ رمضان سنة ٣٨٦ هـ توفي العزيز بالله صاحب مصر في بلبيس على اثر مرض طويل بالقولنج والحصى ، وعمره ٤٢ سنة وبضعة أشهر . وكانت المدة التي قضاها في الملك ٢١ سنة و ٥ أشهر ونصف . وتولى بعده ابنه الذي لقب بالحكم بأمر الله .

• وفي شهر رمضان سنة ٥٠٠ حاصر السلطان محمد ، قلعة الباطنية بالقرب من أصبهان ، وملكها ، وقتل من كانوا فيها من الباطنية .

• وفي شهر رمضان سنة ٥٠٣ ابتدأ الفرنج الغزاة في محاصرة طرابلس الشام من جهة البر والبحر ، وقد جرت فتن داخلية فيما بينهم أدت بهم الى الشر والقتال . فقام صاحب انطاكية منهم ، وشدد الحصار على المسلمين . وقد حدث أن تأخر الأسطول الذي سيره الخليفة بمصر إذ قد رده الريح .

• وفي رمضان سنة ٥١٦ توفي ايلغازي بن أرتق ، بميافارقين . وملك بعد ابنه تمرتاش ، قلعة ماردين . وملك ابنه سليمان ، ميافارقين . وكان بحلب ابن أخيه سليمان بن عبد الجبار بن أرتق .

وهذا يعطينا وجها واضحا لبلبلة الحكم وانقسام الحاكمين الى « طوائف » .

• وفي ١٩ رمضان سنة ٥٥٦ مات الملك الصالح متأثرا من جراح أصابته عندما ضرب به أولاد الراعي ، بإيعاز من عمه الخليفة كما يروى ، واستوزر بعده ، ابنه محيي الدين رزيك ، ولقبه بالملك العادل . وكنيته : أبو شجاع .

• وفي شهر رمضان سنة ٥٥٦ أخذ أمير مكة قاسم بن فليتة أموال الأهالي ، وجمع الناس لمحاربة عمه عيسى . ثم تنحى عنه الناس بسبب نقضه لوعده لهم . فتولى عمه عيسى امارة مكة . ومن ثم هرب قاسم بن فليتة . وفي أثناء هروبه ، وصعوده الى جبل أبي قبيس بمكة سقط عن فرسه فمات ودفن بالمعلى بمكة .

• وفي ٨ رمضان سنة ٥٦٩ توفي نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي . بقلعة دمشق . وعمره ستون سنة . وكانت مدة حكمه ٢٩ سنة . وقام بعده ابنه الملك الصالح اسماعيل ابن نور الدين ، وعمره احدى عشرة سنة . وحلف له الجند يمين الطاعة والولاء . وأطاعه صلاح الدين بن أيوب بمصر ، وضربت باسمه النقود .

• وفي ١٥ رمضان سنة ٥٨٤ قام صلاح الدين من دمشق ، يريد مدينة صفد بفلسطين . ودخل في معارك مع محتلي البلاد الفلسطينية من الصليبيين . وأخيرا استولى على صفد بالأمان . ثم انتقل منها الى كوكب وحاصرها ثم تسلمها في منتصف ذي القعدة من السنة ذاتها .

• وفي ٢ رمضان سنة ٥٨٧ رحل السلطان صلاح الدين بن أيوب من عسقلان بعد أن أخلاها وخربها ، لئلا يستفيد الصليبيون من موقعها وما فيها ..

• وفي ١٩ رمضان سنة ٥٨٧ توفي الملك المظفر تقي الدين ابن أخي صلاح الدين .

• وفي ٤ رمضان سنة ٥٨٨ رحل السلطان صلاح الدين بن أيوب ، الى بيت المقدس ، فحصنها وشيد الأسوار عليها ، وزاد من وقف المدرسة التي أنشأها .

• وفي رمضان سنة ٥٩١ غزا ملك المغرب يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ، بلاد الأندلس التي يحتلها الافرنج .

• وفي رمضان سنة ٥٩٥ صدّ الملك العادل جموع الصليبيين عن مدينة صور الواقعة في الدولة اللبنانية اليوم .

• وفي آخر شهر رمضان سنة ٦٣٧ أفرج الملك الناصر داود عن ابن عمه الملك الصالح بن أيوب ، وسار الى قبة الصخرة ، وتحالفا على أن تكون ديار مصر ، للصالح بن أيوب . ودمشق والبلاد المشرقية للناصر . ثم سارا ليحاربا الملك الكامل ، فقبضت عليه المماليك في ليلة ٩ رمضان سنة ٦٣٧ وكانت مدة حكمه نحو عامين .

• بقي الملك الصالح بن أيوب في ملك مصر ، الى أن كانت ليلة ١٤ رمضان ٦٤٧ التي توفي فيها . وقد اتفقت جاريته : شجرة الدر مع الأمير فخر الدين ، ورئيس الخصيّ على كتمان وفاته ، وعلى استقدام ولدها الملك المعظم عنيات الدين طوران شاه ، فأخذت له البيعة من جميع الأمراء والقادة والأعيان ، وصار الأمير فخر الدين أتابكا له .

• وفي رمضان سنة ٦٥٨ هزم الجيش الاسلامي بمصر ، حشود التتار وكان الملك يومئذ هو الظاهر بيبرس .

• في مستهل رمضان سنة ٦٦٦ استولى الملك الظاهر على انطاكية وأخرج منها التتار . واسر منهم نحو ١٠ آلاف اسير .

• وفي ١٧ رمضان سنة ٦٦٩ نازل الملك الظاهر حامية حصن عكار ، وامتلكه في آخر شهر رمضان المذكور .

• وفي ٢٠ رمضان سنة ٦٧٥ خرج الملك الظاهر من مصر ، بعسكره قاصدا حلب ثم النهر الأزرق ثم الى ابلستين فوصلها ، وهناك تلاقى مع التتر في ١١ ذي القعدة من السنة ذاتها وهزمهم ، ثم سار الى قيسارية .

• وفي يوم ٢٥ رمضان سنة ٧٠٨ ورد كتاب من الملك الناصر الى المماليك وقد أعرب لهم فيه عن تنازله عن الملك ، وفوض لهم الرأي فيمن يريدون توليته بدلا عنه .. فبايعوا ركن الدين بيبرس الجانشكير ، ولقبه بالملك المظفر .. وقد كان مظفرا بحق. وله آثاره الخالدة في نصرة الاسلام .

• وفي ٢٠ رمضان سنة ٧٢٦ توفي السلطان عثمان الغازي . وقد بلغ من العمر سبعين عاما . وتولى بعده السلطنة ، أورخان .

• وفي رمضان سنة ٧٤٢ خلع الأشرف ، وسجن في قلعة القاهرة . وتوفي بها . وبويع أخوه شهاب الدين ، ولقب بالملك الناصر الثاني .

• وفي رمضان سنة ٧٤٥ تدفق سيل عظيم بطرابلس الشام أغرقها وأهلك خلقا كثيرا . وفي تلك السنة زاد نهر حماة ، وأغرق دورا كثيرة .

• وفي ١٢ رمضان سنة ٧٤٨ قتل الملك المظفر الثالث ، بعد أن حكم سنة وثلاثة أشهر . فبويع أخوه السابع ناصر الدين حسن ، ولقب بالملك الناصر الثالث .

• وفي ١٨ رمضان ٨٦٥ عزل الملك المؤيد ، وبويع لسيف الدين خوش قدم ولقب بالملك الظاهر .

• وفي رمضان سنة ٨٧٦ نقض أهل البندقية بايطاليا ، معاهدة الصلح المعقودة فيما بينهم وبين الدولة العثمانية في ١٦ جمادى الأولى سنة ٨٥٨ هـ .

• وفي رمضان سنة ٨٧٩ استولى السلطان محمد العثماني على بلاد القرم .

• وفي ١٦ رمضان سنة ١٢٠٠ حضر الى رشيد والاسكندرية « دونتما » — أي أسطول — عثمانية ، وجيش عثماني تحت قيادة قبودان باشا حسن ، وذلك لردع « البكوات » ، حكام مصر المستبدين إذ ذاك ، ولإيقافهم عند حدهم .

• وفي ٧ رمضان سنة ١٢٢١ توفي عثمان بك البرديسي . وفي ٢٠ شوال من السنة توفي محمد بك الألفي ، وقد كانا زعيمي المماليك . وبموتهما خلا الجو لمحمد علي باشا .

• وفي ٢٧ رمضان سنة ١٢٣٧ أحرق اليونان الدونما (الأسطول) العثماني .

• وفي ١٤ رمضان سنة ١٢٤١ تم استيلاء ابراهيم باشا ، على مدينة « ميسولونجي » من مدن اليونان .

• وفي ٨ رمضان سنة ١٢٥٥ قامت أول بعثة استكشافية أرسلها محمد علي باشا ، لاستكشاف النيل الأبيض .

• وفي ١٣ رمضان سنة ١٢٦٥ توفي محمد علي باشا صاحب مصر . وعمره ٨٣ سنة .

• ساءت العلاقات بين روسيا والدولة العثمانية الى درجة أن أخبر سفير روسيا الدولة العثمانية في ١٩ رمضان ١٢٦٩ بأن الجيوش الروسية ستتعدى الحدود العثمانية .

• وفي ٩ رمضان سنة ١٢٧١ ظهر وباء الكوليرا (الهيضة) في مصر ، فتوفي بها ٤٠٦٣ نسمة .

• وفي رمضان سنة ١٢٧٥ ابتديء في الأشغال الحقيقية في حفريات قناة السويس .

• وفي ١٢ رمضان سنة ١٢٨٢ اشترى اسماعيل باشا من شركة قنال السويس ، الترعة الحلوى .

• وفي ٦ رمضان سنة ١٢٩١ قتل السلطان ابراهيم وأولاده في الحرب .

• وفي ٢٣ رمضان سنة ١٢٩١ احتل الزبير بك بلدة الفاشر بالسودان .

• وفي ١٢ رمضان سنة ١٢٩٢ احتل الجيش المصري ، مدينة هرر في السودان بقيادة محمد رؤوف باشا ، وبرئاسة أركان حرب اللواء محمد مختار باشا ، مؤلف كتاب التوفيقات الألهامية ، وقد طبع ونشر سنة ١٣١١هـ .

• وفي ١٥ رمضان سنة ١٢٩٨ بدأت محاولات محمد رؤوف باشا لأسر السيد محمد أحمد المهدي بالسودان ، بيد أنه لم يوفق .

• وفي ٧ رمضان سنة ١٢٩٩ عزم عرابي باشا ورفاقه على سد قناة السويس . وفي الثامن منه صدر أمر الخديوي توفيق بعزل عرابي باشا .

• وفي ١٠ رمضان سنة ١٣٠٠ فشا وباء الكوليرا ، مرة أخرى ، بالقطر المصري ، وقد توفي بها ١٠١٦٨ نسمة .

• وفي ٩ رمضان سنة ١٣٠٢ توفي السيد الامام محمد أحمد المهدي .

• كانت أول رسالة من الشريف حسين الى السيد هنري مكماهون مؤرخة في ٢٨ رمضان سنة ١٣٣٣ بشأن الشروط المقترحة من الملك حسين المتعلقة بالقضية العربية .

• اقتحم الجيش الهاشمي قلعة مكة في رمضان سنة ١٣٣٥ .

• في يوم ١٩ رمضان ١٣٣٦ وصلت قوات الملك حسين بن علي الى العقبة ، فاستولت عليها .

• وفي ١٦ رمضان سنة ١٣٤١ غادر السلطان محمد وحيد الدين بن السلطان عبد المجيد خان ، آخر سلاطين آل عثمان ، مدينة جدة بحرا في طريقه الى السويس ، وبذلك كانت نهاية عهد العثمانيين بالحجاز .

• في رمضان سنة ١٣٤٣ دارت مكاتبات بين السلطان عبد العزيز آل سعود ، وبين الحكومة العربية الهاشمية ، وذلك من أجل الوساطة والصلح بين الدولة الهاشمية وانكلترا .

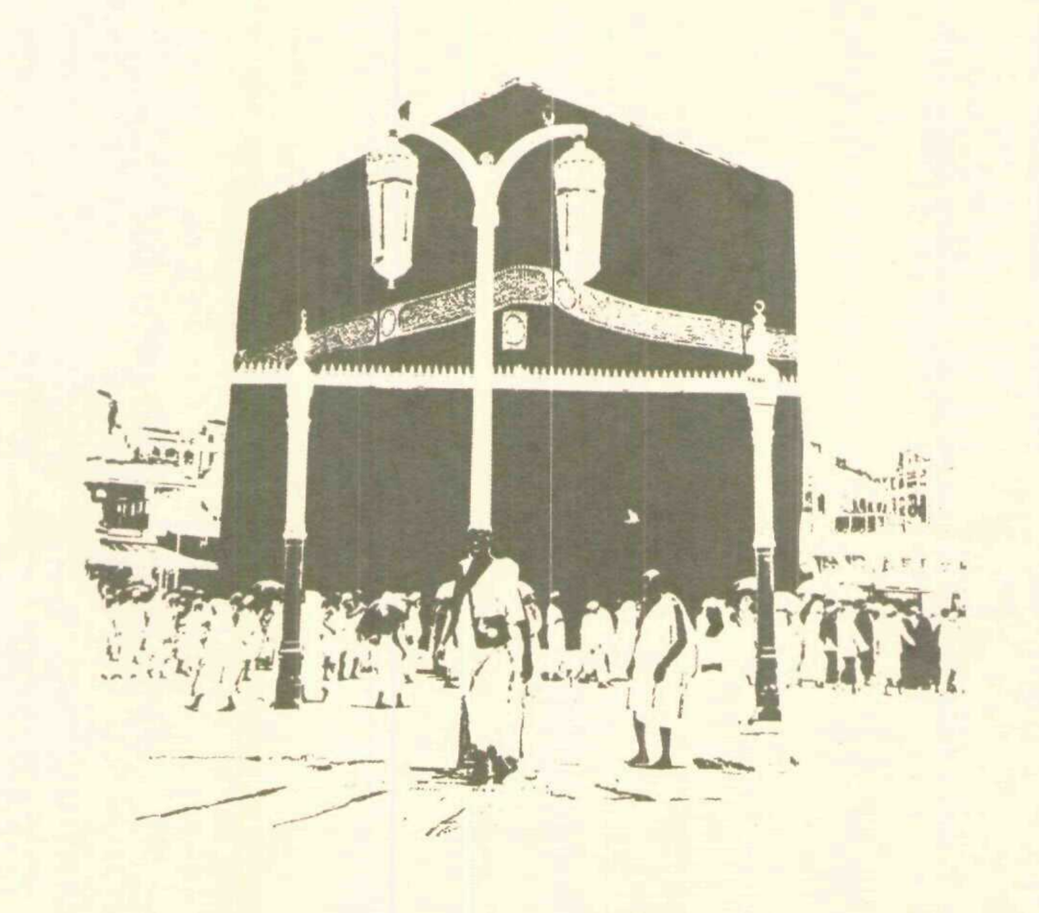
• وفي رمضان سنة ١٣٤٨ وصل الملك عبدالعزيز آل سعود رحمه الله ، الى البحرين بعد اجتماعه بالملك فيصل بن الحسين رحمه الله ، تلبية لدعوة تلقاها جلالته ، من سمو الشيخ عيسى بن خليفة حاكم البحرين .

• وفي ٢٦ رمضان سنة ١٣٦٢ سافر سمو الأمير فيصل (جلالة الملك حاليا) ومعه أخوه الأمير خالد ابن عبد العزيز (ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء حاليا) من جدة الى أمريكا ، اجابة لدعوة تلقاها من فخامة المستر روزفلت رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية .

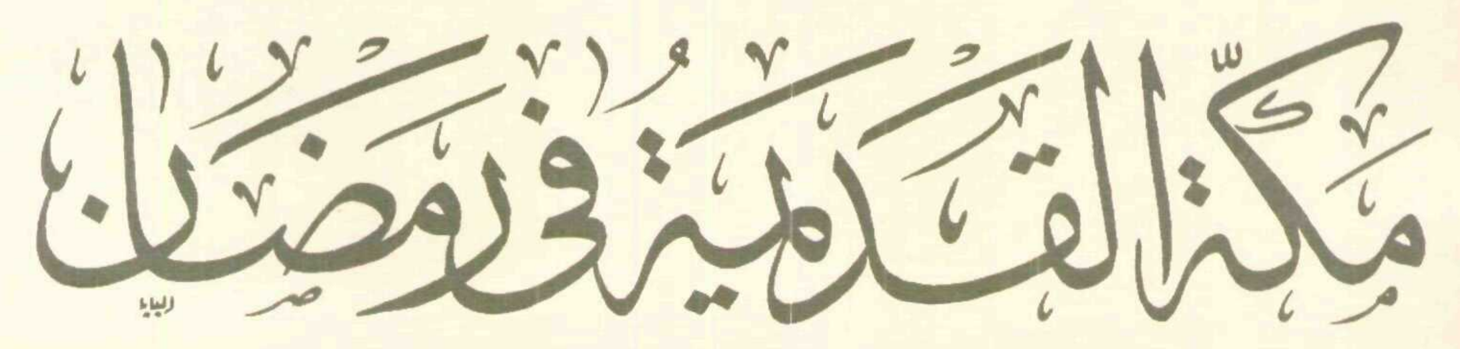
• وفي أوائل رمضان سنة ١٣٦٧ أمر جلالة الملك عبد العزيز آل سعود بإرسال أول بعثة عسكرية الى لندن ، للالتحاق بالكلية الحربية « سان هيرست » .

• وفي أواخر رمضان سنة ١٣٦٧ أمر جلالته بابتعاث بعثة عسكرية أخرى ، كانت الأولى الى أمريكا ، للالتحاق بمطار « تشاتوت بالينوس » ليتعلم أعضاء البعثة فن الأنواء الجوية ، الخاصة بفن الطيران .

وبعد ، فهذه مجموعة من أحداث الرمضانات المهمة بالنسبة للعالمين الاسلامي والعربي . وليست هذه كل أحداث شهر رمضان منذ بدأ حتى هذا القرن .. فهناك أحداث ذوات أهمية كبيرة ، حدثت في الرمضانات السالفة عبر القرون .— والتنقيب المستمر ، والبحث المطرد كفيلان باماطة اللثام عنها .. وموضع ذلك موسوعة أو كتاب شامل ، ولا يمكن أن تستوعبه مقالة واحدة ، مهما يعتن فيها بالاحصاء والتتبع .. وكل ما في الأمر أنه كما يقول المثل السائر : « ما لا يدرك كله لا يترك كله ، أو جله » ■



بقلم الاستاذ احمد السباعي



عندما صامت مكة رمضان في نحو منتصف القرن الأول للهجرة ، شعرت لأول مرة أن المسجد الحرام يضيق بالمصلين في قيام التراويح ، فالتمست الرأي عند أميرها « خالد بن عبد الله القسري » . وكان خالد جريئا لا يطيل التردد فيما يعتقد صوابه ، فما يمنعه أن يأمر في أسلوب حاسم أن يدير جماعة المصلين صفوفهم حول الكعبة من جهاتها الأربع .

لقد كان جديدا على المؤتمين أن تدور صفوف جماعتهم حول الكعبة ، وهم لم يتعودوا الصلاة قبل ذلك اليوم في جماعة الا في جهة واحدة يقابلون فيها باب الكعبة .. ولكن خالدا لم يجد عند علماء الدين ما يعارض ادارة الصفوف حول الكعبة ، فما يمنعه من اصدار الأوامر ؟

قالوا له ان ذلك يمنع الطائفين من طوافهم ، فجاء التعقيب بأن لا يطوف الطائفون الا بعد ترويحتين ، ولا يقوم المصلون حتى تنتهي أشواط الطائفين . فصدع الناس لما رأى ، وشرعوا يتناوبون الصلاة مرة ، والطواف أخرى الى مطلع الفجر . وبذلك استدارت صفوف الجماعة حول الكعبة لأول مرة في مثل هذه الأيام من مثل هذا الشهر .

وأضاف القسري الى أولياته في رمضان « منادي السحر » ، فقد خصص من يتحرى وقت الامساك فوق جبل أبي قبيس ، ليعلن في الناس بصوت جهير : « أمسكوا رحمكم الله . » وظل منادي السحر فوق أبي قبيس مناطا لامساك الصائمين الى عهد الرشيد ، قبيل نهاية القرن الثاني من الهجرة .. فقد رأى الرشيد أن تتسع آفاق هذا النداء ، فأمر بأن تبنى المنائر على رؤوس الجبال المشرفة على فجاج مكة ، من أقصاها الى أقصاها ، وأن يعهد بتحري وقت الامساك الى مختصين يعلنونه للمنائر ، لتتادى به في سلسلة متصلة الحلقات ، منارة بعد أخرى .. تبدأ بأعلى مكة ، وتنتهي بأسفلها ، وتتخلل جميع شعابها .

وعندما أهملت المنائر وتطرق الخراب اليها بتوالي الأجيال ، استعاض الناس في مكة عنها بأخشاب طويلة كانوا يضعونها في رأس احدى المنائر ، ثم ينيطون بها قنديلين متعارضين ، يطفآن اذا حان الامساك . فكان أهل مكة يتحرون اطفاء القناديل من فوق سطوحهم المرتفعة البعيدة من المسجد .

وقد ظل الأمر على هذا الى أوائل العهد العثماني ، حيث عرفت مكة اطلاق المدافع . ولم تقتصر حفاوة مكة القديمة برمضان على موضوع النداء للامساك ، فقد أضيفت اليه أصوات الدبادب التي كانت تعلن حلول رمضان ، قبل اختراع المدفع .

وصف هذا يحدثنا ابن جبير ، الرحالة المسلم الذي زار مكة بعد منتصف القرن الخامس الهجري ، فيقول : « ان دبادب الأمير أخذت تضرب في مكة ليلة الشك إيذانا بصيام يوم الشك . » ثم يقول : « وللمسجد فرقعة (١) يضرب بها ثلاث ضربات عند الفراغ من أذان المغرب ، ومثلها عند الفراغ من أذان العشاء . »

ويلذ لي أن أستطرد واياكم في طرائف ما يرويه لنا ابن جبير عن شهر الصيام في مكة القديمة ، فقد شهد رمضان في هذا البلد ، واختلط بأهله ، وعاشرهم أشهرا طويلة ، وكتب عن ذلك يقول : « ما أذنت ليلة الشك بحلول رمضان في مكة ، حتى بدأ مسجدها يتلألأ نورا ، وتفرق الأئمة فرقا لإقامة التراويح ، فلا تجد في المسجد زاوية الا وفيها قارىء يصلي بجماعة خلفه ، وقد صفت الشموع على اختلاف أنواعها في جهة من محاربهم .. ورؤي المصلون يطوفون بين كل تسليمتين سبعا . » ثم يقول : « ويتولى التسحير في مئذنة باب علي المؤذن الزمزمي ، لقرب المئذنة من دار الأمير ، ومعه أخوان صغيران يقاولانه ويجاوبانه في أصوات رقيقة . »

ولسنا نعجب لما ذكره ابن جبير من تفرق الأئمة لصلاة التراويح في المسجد في جماعات متعددة ، فقد كان تعدد الجماعات في المسجد ، حتى في الصلاة المكتوبة ، طريقة سائدة لعدة قرون طويلة من تاريخ مكة . ولا يزال كهولنا يذكرون أن الأئمة الأربعة كانوا يتناوبون الصلاة اماما بعد آخر ، حتى ألغيت هذه الطريقة في عهد حكومتنا الحاضرة ، واكتفى المسجد بتوحيد المصلين في جماعة واحدة . ولم يكن تعدد الجماعات وسيلة التناوب بين الأئمة في جميع العهود ، بل أن بعض هذه العهود كانت تبيح للأئمة أن يؤموا اتباعهم في وقت مشترك .. فيركع الشافعي ، بينما يسجد الحنفي ، ويعتدل الحنبلي ، بينما يتشهد المالكي . وبذلك كان التشويش يعم جميع المصلين في المسجد .

وفي العهد الذي شهده ابن جبير كان يصلي أمام الزيدية في محراب خاص به ، كما يصلي أئمة المذاهب الأربعة .

ونستأنف استطرادنا عن وصف رمضان في مكة القديمة ، فنستمع الى رحالة من انداد ابن جبير شهد رمضان في مكة في أوائل القرن الثامن الهجري . ذلك هو العلامة ابن بطوطة ، الذي كتب عن مشاهداته في مكة ، فوصف أحوال رمضان بنحو ما وصفها به ابن جبير .. فهو يذكر الطبول والدبادب ، ويذكر المؤذن الزمزمي ، وقناديل المئذنة التي كانوا يطفئونها اشارة بالامساك . كما يذكر حفاوتهم بالشموع والمشاعل في ليالي رمضان ، ويضيف عنايتهم بحصر المسجد التي شهدهم يجددونها ويزيدون عليها مثلها . ويبدو أن أفواج المعتمرين ، الذين نشاهدهم اليوم يحيون أكثر ليالي رمضان بين مسجد التنعيم والمطاف والمسعى ، كان لهم شبيه في عهد ابن بطوطة ، الا أن حفاوتهم كانت تبلغ غايتها في شهر رجب أكثر مما تبلغه في شهر رمضان .. فقد رأى ابن بطوطة مواكب الأهليين تتزاحم في شهر رجب في طريقها الى العمرة ، يمتطون الخيل والنوق ، ويتجمهرون فوق صهواتها ، وهم يلعبون بالأسلحة ، ويقذفون حرابهم في الهواء ، ثم يلقفونها . كما رأى الهوادج تغص بها شوارع مكة ، عليها أكسية الحرير والكتان .

وكما نشاهد اليوم زحام القادمين من جدة ، وما يليها من القبائل والقرى ، لقصد الاعتمار في ليالي رمضان ، شهد ابن بطوطة زحام القبائل وهي تسيل من بطحاء مكة في طريقها الى التنعيم ، وهو في هذا يقول : « ورأيت أهل الجهات الموالية لمكة ، مثل بجيلة ، وزهران ، وغامد ، يعنون بزيارة مكة ، ويشاركون أهلها حفاوتهم بالعمرة ، ويجلبون معهم الى مكة كثيرا من منتجات بلادهم ، فيعم الرخاء .. » الى أن يقول : « وهم يعتقدون أن بلادهم لا تخصب حتى يبروا مكة بما ينتجون » .

والذي أقوله أن هذا الاعتقاد لا زال سائدا في أكثر القبائل الزراعية حول مكة الى اليوم ، ولا يزال يعيش بيننا من يؤمن بأن باكورة انتاجه لا يجوز بيعها خارج أسواق مكة ، مهما كلفه ذلك .

ويمضي ابن بطوطة حتى يصف القبائل من غامد وزهران في عهده ، فيقول : « انهم فصحاء الألسن ، صادقو النية ، يتطارحون على الكعبة داعين بأدعية تتصعد لرقتها القلوب ، ويتزاحمون عليها حتى يعجز غيرهم عن الطواف معهم . وهم شجعان أنجاد .. ولباسهم الجلود .. واذا وردوا مكة هابت اعراب الطريق مقدمهم » ■

(١) الفرقعة نوع من الكرابيج يضرب بها في الجو فتحدث صوتا مدويا .

امضاءات والقاب

بقلم الاستاذ وديع فلسطين

من ينقب في مجموعات المجلات والصحف القديمة ، تستوقفه ملاحظتان جديرتان بالبحث ، هما أن طائفة غير قليلة من الموضوعات المدرجة فيها قد جاءت مغفلة الامضاء ، فبات من المستعصي معرفة كاتبيها بعد انقضاء سنوات مديدة على كتابتها ، كما أن بعض المقالات قد ذيلت بامضاءات مستعاره مثل « باحث » أو « محقق » أو « عليم » أو « ناقد » أو غير ذلك من الامضاءات التي لاتميط اللثام عن شخصية صاحبها ، وان كان من المحتمل أن بعض هذه الشخصيات عرف في حينه ، ثم طواه النسيان في برديه .

واذا كان لهذه الفصول صلة بالتاريخ الادبي ، فلامفر للباحثين من بذل كل جهد في سبيل التحقق من أسماء كاتبيها ، وهم يستعينون على بلوغ تلك الغاية بالمتابعة الدقيقة الحثيثة للحركة الفكرية في تلك الفترة ، ثم بدراسة أساليب الكتاب لاستشفاف خصائص كل منهم ، ثم بالاعتماد على الاستنتاج العقلي والذوقي ان كان القطع والجزم متعذرين .

وقد ووجه بهذه المشقة الشاعر الاستاذ محمود أبو الوفا عندما عكف على جمع الجزء الرابع من ديوان « الشوقيات » انفاذا لوصية شوقي ، كما ووجه بها الدكتور محمد صبري السوربوني وهو يبحث في الصحف القديمة عن الشعر الذي نشره شوقي متنكرا وراء امضاءات مستعارة ، وكان أكبر عون له على الجزم بنسبة هذا الشعر الى صاحبه أنه عاصر بنفسه تلك الفترة ، وتابع عن كثب تياراتها الادبية ، وعرف شوقي معرفة شخصية ، وجالسه في ساعات خلوته ، فاستطاع أن يخرج كتابين كبيرين من « الشوقيات المجهولة » ، وهو عمل فريد في تاريخ الأدب العربي .

وكان العرف المتبع في العقود الثلاثة أو الأربعة الأولى من هذا القرن ، أن المحرر المسؤول عن المجلة أو الجريدة يكتب مقالاته فيها بغير توقيع ، اعتمادا على أن القارئ يعرف بالبداهة التلقائية أن هذه المقالات من قلم رئيس التحرير . وعلى هذا جرى يعقوب صروف ومن بعده فؤاد صروف في « المقتطف » ، وخليل ثابت في « المقطم » ، وداود بركات وأنطون الجميل في « الاهرام » . وربما أسعفت المحرر عبارة مثل « كل ماينشر بغير امضاء هو لرئيس التحرير » ، يدرجها في كل عدد من أعداد المجلة ليعرف القارئ كل كتاب المقالات . فاذا انعدمت هذه العبارة ، حار الناس في أمر المقالات الواردة بغير امضاء ، ولم يعرفوا أيردونها الى قلم المحرر أو يتحفظون في ذلك . وقد صادفت هذه الحيرة جلال مظهر ، نجل العلامة الراحل اسماعيل مظهر ، محرر « المصور » ، فقد فكر في جمع تراث أبيه المتناثر ، فلما عاد الى « العصور » ألفى كثيرا من مقالاتها غفلا من الامضاء ، وكان عليه أن يحللها أسلوبا وفكرة وأن يطلب العون من أصدقاء أبيه الذين عاصروا تلك الحقبة قبل أن يجزم ان كانت لأبيه أو لغيره .

واغفال الامضاء قد يكون عن زهادة في الشهرة ، أو قد يكون عن تحرج في مطالعة الناس برأي جديد ، أو قد يكون من قبيل السهو الذي يتدارك في عدد تال ، أو قد يكون لرغبة في عدم تكرار اسم كاتب واحد في عدد واحد من مجلة بعينها ، أو قد ترى الجريدة أن المقالة بغير امضاء أوقع في نفوس قرائها وأثقل وزنا من مقالة تحمل امضاء لأن الأولى تنطق باسم الجريدة وهيبتها ، وهو اسم يفرض الاحترام فرضا ، بينما الثانية تعبر عن رأي فرد واحد ، وقد يستخف به القراء . أو قد يكون اغفال الامضاء عن رهبة وحرج .

على أن بين الكتاب من وفق بين الرغبة في امضاء المقالة والرغبة في حجب اسمه عن جمهرة القارئين . فلجأ بعضهم الى توقيع مقالاته بالأحرف الأولى من اسمه ، مثل الشاعر عبد الرحمن شكري ، الذي بعد أن اعتزل الأدب صار يوقع ما يدفعه الحنين الى كتابته من دراسات أدبية في « المقتطف » بحرفي « ش. ع » ، ونقولا الحداد الذي لما استفاضت مقالاته في عهد رياسته لتحرير « المقتطف » ، صار يوقع بعضها بحرفي « ن. ح » أو بحرف « ن » وأحيانا « نون » . ومثل سلامة موسى ، الذي تولى تحرير « مجلة الشؤون الاجتماعية » في مرحلة من مراحل حياتها ، فكان يوقع مقال الصدر باسمه الكامل ، وبقية مقالاته في العدد بحرفي « س. م » أو « س » .

بيد أن بعض الكتاب درج على اتخاذ اسم مستعار له ، ومنهم من ثبت على هذا الاسم لا يبدله ولا يغيره ، فطارت شهرته دون أن تطمس اسمه الصحيح . ومن ذلك مثلا « الأخطل الصغير » بشارة الخوري ، و « الشاعر القروي » رشيد سليم الخوري الذي اتخذ هذا الاسم المستعار تحديا لخصم له عيره بأنه رجل قروي وبأن شعره شعر قروي . وكذلك « الشاعر المدني » قيصر سليم الخوري ، وهو شقيق القروي ، وقد رغب في أن ينشيء مفارقة بين اسميهما المستعارين . وهناك « بدوي الجبل » محمد سليمان الأحمد ، و « البدوي الملثم » يعقوب العودات الذي زايله لثامه منذ بدأت صورته تظهر مع كتاباته ! و « باحثة البادية » ملك حفني ناصف ، و « الآنسة الزهرة » أوليفيا عويضة ، وهي سيدة من صعيديات مصر تقيم في الأقصر ، وكانت تنشر فصولها في « رسالة » الزيات و « ثقافة » أحمد أمين وفي « الطالبة » وغيرها ، و « ابن الخطيب » محمد عبد اللطيف ، و « الصحفي العجوز » توفيق حبيب ، و « كناري » وهو الأديب السكندري حسنين محمود حسنين ، و « أدونيس » علي أحمد سعيد ، والأديب المهجري « أبو الفضل الوليد » وهو الياس عبد الله طعمة ، و « بنت بطوطة » وهي الرحالة المؤرخة عصمت هانم محسن حفيدة أمير البحر حسن باشا الاسكندراني ، وهي تقيم في الاسكندرية وتؤلف بالافرنسية ، وقد ترجمت كتبها الى العربية بأقلام عزيز خانكي وصديق شيبوب ، و « ف. ك » وهو المرحوم فريد كامل الذي عمل خمسين عاما في الصحافة وخاض بعض معاركها مع الشيخ عبد العزيز جاويش ، ولم يعرف الناس عنه الا أنه « ف. ك » .

أما الذين تبدلت معهم الأسماء المستعارة ، فمنهم الدكتورة عائشة عبد الرحمن التي كانت في أول عهدها بالكتابة تكنى « ابنة الشاطيء » ، ثم عدلت عنه الى « بنت الشاطيء » ، وكذلك ماري زيادة التي اختارت أولا اسم « إيزيس كوبيا » ثم هجرته الى « مي » ، فصار لها اسما مستعارا وإسما حقيقيا في آن واحد .

ولعل أكثر الكتاب تسترا وراء الأسماء المستعارة المتغيرة هو العلامة الراحل الأب أنستاس ماري الكرملي الذي كان يحب خوض معارك الأدب واللغة ، ويتدرع لكل معركة باسم مستعار جديد . وقد أحصى كوركيس عواد تسعة وثلاثين اسما مستعارا للكرملي مثل « فهد الجابري » و « ساتسنا » (وهو اسمه الأول مقلوبا) و « كلدة » و « ابن الخضراء » و « محب الفجر » وما اليها . بل ان هناك كتبا ارتأى أصحابها أن تصدر بغير أسمائهم الحقيقية كرواية « زينب » للمرحوم الدكتور محمد حسين هيكل باشا ، فقد تحرج مؤلفها من وضع اسمه عليها يوم صدور طبعتها الأولى ، فخرجت تحمل اسم « فلاح » ، فلما أعاد طبعها كان مؤلفها قد تحسس اتجاهات الرأي العام ، وعرف أنه استقبل الرواية استقبالا كريما ، فوضع اسمه الكامل عليها بكل سفور .

ومن الكتاب من يعالن باسمه الصريح ، ثم تقتضيه ظروف أو اعتبارات أن يتخفى وراء كنية ، كالمؤرخ المجاهد محمد علي الطاهر (المعروف بأبي الحسن) والدكتور الشيخ أحمد الشرباصي (وهو أبو حازم) والصحفي المهجري الدكتور ألفونس جميل شوريز صاحب «الاصلاح» النيويوركية والمكنى « بأبي فيليب » .

ومنهم من يضيف الى اسمه اسم ابنه كأبي خلدون ، ساطع الحصري . ومنهم من يقرن اسمه المستعار باسمه الصحيح ، كالشاعر الزجال « أبو الوفا محمود رمزي نظيم » صاحب ديوان « الرمزيات » ، وهو غير الشاعر الكبير محمود أبو الوفا أطال الله بقاءه .

وهناك امضاءات لا تخلو من طرافة كامضاء زكي مبارك الذي كان يوقع به مقالاته في معارك النقد حاشدا كل ألقابه وأسمائه، ولكأنه يرهب منازليه بأنه هوهو « الدكاترة محمد زكي عبد السلام مبارك » ، ويا لـه من اسم كالجيش الجرار !

ومن الكتاب من كان يكتب في أول حياته باسم مستعار ، حتى اذا حقق وطره منه ، هجره الى اسمه الصريح ، مثل المؤرخ محمود الشرقاوي الذي كان يوقع مقالاته في « البلاغ » بامضاء « العالم الصغير » ومثل الروائي ابراهيم الورداني الذي بدأ حياته بتوقيع أقاصيصه باسم « مي الصغيرة » إثارة لفضول القراء ، ولما تساءل الناس عمن تكون « مي الصغيرة » رفع القناع عن الاسم الصحيح ، ومثل محمد فهمي عبد اللطيف الذي كان يكثر من الطعان في مجلة « الرسالة » ثم « الصباح » متسترا وراء اسم « الجاحظ » .

وكان بعض الكتاب يختصرون أسماءهم ، فيقع لبس بينهم وبين سواهم ، كما حدث عندما كان القراء يظنون أن كاتب المقالات النقدية « صبري » هو الشاعر اسماعيل صبري باشا بعينه ، ثم عرف في ما بعد أن كاتبها الدكتور محمد صبري السوربوني .

ومن الذين استطالوا أسماءهم فاختصروها الروائي نجيب محفوظ الذي كان يعرفه قراؤه الأوائل باسم نجيب محفوظ عبد العزيز . بينما بقيت لبعض الكتاب أسماء طويلة تفرض نفسها عليهم فرضا ، مثل عباس محمود العقاد ، وابراهيم عبد القادر المازني ، ومصطفى صادق الرافعي ، ومحمد عبدالله عنان ، وعبد الحميد جودة السحار ، ومحمد زكي عبد القادر ، وزكي نجيب محمود ، وأحمد فؤاد الأهواني ، وحسن كامل الصيرفي ، ومصطفى عبد اللطيف السحرتي ، وعبد الله يوركي حلاق ، وغيرهم .

وقد تتشابه الأسماء أو تتطابق حتى يختلط الأمر على القراء المعاصرين ثم على المؤرخين من بعد . فهناك مثلا عبد القادر حمزة باشا منشيء « البلاغ » ، ونجله وسميه عبد القادر حمزة المحرر في الجريدة عينها . وهناك محمد أحمد خلف الله ، ومحمد خلف الله أحمد . وهناك الشاعر المصري حسن كامل الصيرفي والشاعر السعودي حسن الصيرفي ، وهناك السيد شحاته صاحب « قصص القرآن » و « القصص النبوي » ، ومحمد السيد شحاته شاعر البراري . وهناك الدكتور الشيخ الفقيه أحمد الشرباصي ، والمهندس الفقيه أحمد عبده الشرباصي . فاذا تطابق اسم الأب والابن كألكسندر دوماس ، ميز الإفرنسيون هذا عن ذاك بقولهم دوماس الكبير أو دوماس الابن . ومثل هذا يعمل الأمريكيون للتفرقة بين الاثنين ، أما في لغة الضاد فان هذا العرف غير مألوف ، ربما لأن قلة من الآباء هي التي تسمي أبناءها بأسمائها .

ومن اللبس ما يكون مفجعا ، كما حدث من عشر سنوات حين مات في لبنان صحفي اسمه « ألبير ديب » ، فحسب الناس أنه « ألبير أديب» ، وتورط كثيرون في رثائه في صحف العالم العربي والمهجر ، ثم فطنوا الى أن الأول « ديب » والثاني « أديب » .

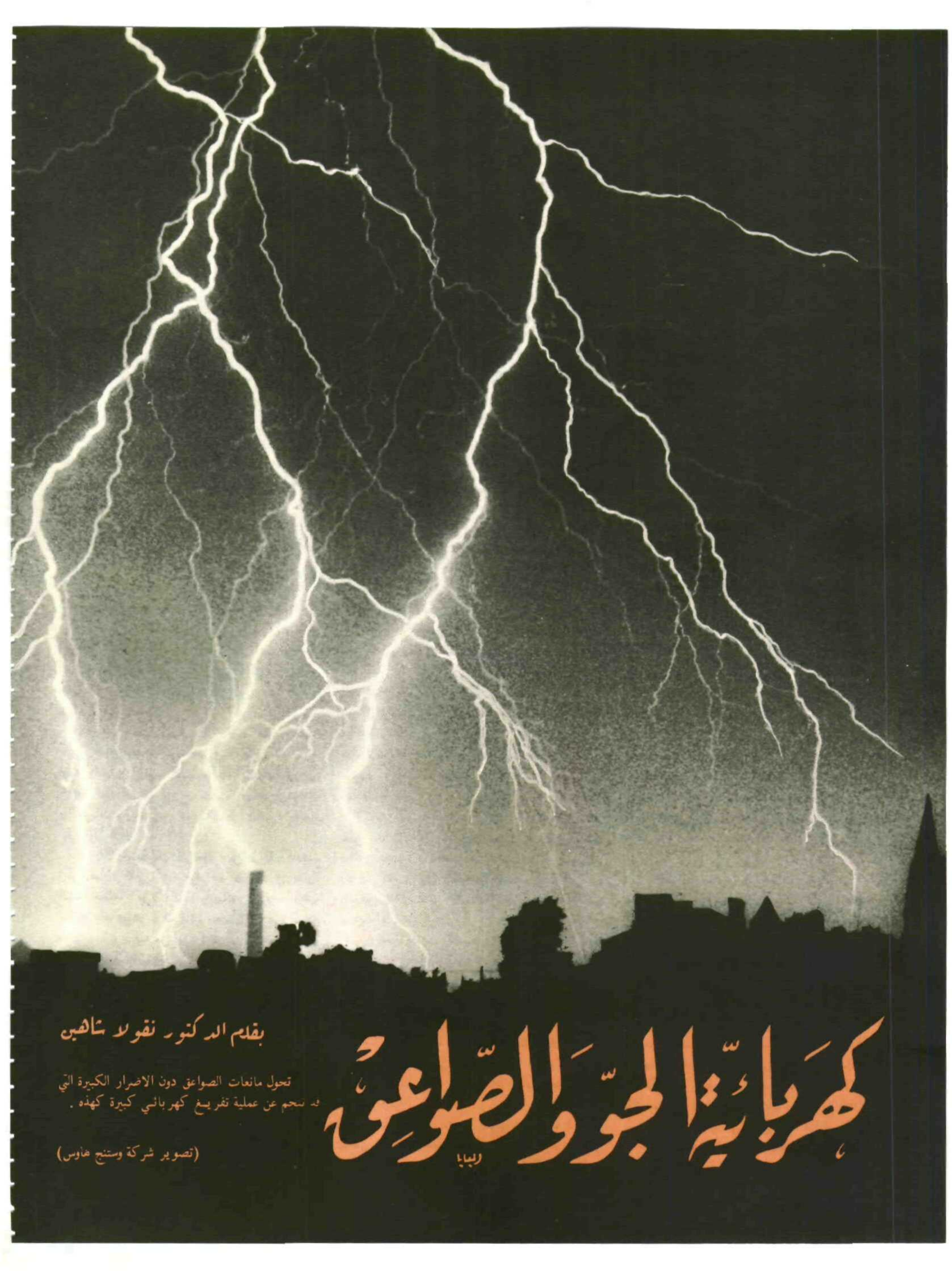
ويجرنا حديث الأسماء والألقاب الى ابناء الأدباء الذين زاولوا الكتابة من بعدهم ، فمنهم من استمسك باسم أبيه كاملا وجعله جزءا لا يتجزأ من اسمه مثل أمينة ومؤنس طه حسين ورؤوف سلامة موسى وإميل جبر ضومط وخليل رامز سركيس ، ومنهم من تخلى عن اسم أبيه مكتفيا باسم الأسرة مثل جلال مظهر نجل اسماعيل مظهر وصفية أبي شادي كريمة الدكتور أحمد زكي أبي شادي وسامي خشبة نجل دريني خشبة .

وثمة أسماء اقترنت بها ألقاب موضوعة ، فكانت بحسن تفصيلها عليها مغنية اذ ذكرت عن الاسم الصحيح نفسه ، بسبب ما صار بين الاسم واللقب من تجانس ووفاق كاملين ، كأمير الشعراء أحمد شوقي ، وشاعر النيل حافظ ابراهيم ، وشاعر القطرين خليل مطران ، وأمير البيان شكيب أرسلان ، وشيخ العروبة أحمد زكي باشا ، وشاعر الأرز شبلي الملاط ، وشاعر الهوى والشباب الأخطل الصغير ، وشاعر الشباب ، وهو لقب يتنازعه أحمد رامي وعادل الغضبان منذ شرخ الشباب ! ، وشاعر الكرنك أحمد فتحي ، وشاعر الأهرام محمد عبد الغني حسن ، وشاعر الجندول علي محمود طه الذي يلقب أحيانا بالملاح التائه ، وشاعر البراري محمد السيد شحاتة ، وشاعر الطيارة فوزي المعلوف ، والدكتور السربوني محمد صبري ، وهلم جرا .

وليس ثمة ريب في أن وراء هذه الأسماء المستعارة قصصا طريفة تروى ، كتلك القصص التي سجلها تاريخ الصحافة عن يعقوب ابن صنوع الذي حير الناس بصحف كان يصدرها في أوروبا ، وكلها نوادر لاذعة وانتقادات شديدةيكتبها بامضاء « أبي نظارة زرقاء » .

ثمّ ان أي غربال دقيق للأدب ، لا بد له من أن يطرح كثيرا من الآثار الأدبية المدفونة في بطون الصحف ، اما لأن أصحابها قد انتحلوها وادعوها ، أو لأنهم اشتروها من سوق عكاظ ! فقد كانت هناك سوق للأدب ، يشترى فيها كل شيء بمقابل ، وهذا الشاعر الناثر محمد مصطفى حمام يعترف بأنه كان يبيع الشعر والخطب والمقالات لطالبيها مقابل قروش معدودات ، كما قرأنا أخيرا فصلا من مذكرات خليل تقي الدين قال فيه انه في أول عهده بالحياة العملية كان يدبج الخطب المنبرية الرنانة لطالبي الشهرة مقابل أتعاب يتقاضاها . وان الفحص المجهري الدقيق لهذه الآثار الأدبية لا بد أن يميز صحيحها من زائفها ، مهما تكن الامضاءات التي تجيء في صدارتها . ودع عنك أن صحف الهزل قد كان من مذهبها المأنوس تقليد الشعر ومعارضته ونسبته الى شعراء بعينهم ، حتى زيف شعر بلسان شوقي وغيره من أئمة البلغاء . بل ان منهم من زيف شعر الشاعر في حياته ودسه عليه في ديوانه !

وقد اجتهدنا في هذا المقال أن نحصر طائفة غير قليلة من الأسماء المستعارة والألقاب الذائعة ، ولكن لا مشاحة في أن في دوريات الأدب وصحفه عشرات أخرى من هذه الألقاب والأسماء والامضاءات التي ما زالت مجهولة الهوية ، والتي يتعين على الباحثين تحريها ومعرفة أصحابها مهما تكن المشقة . على أن هناك مشقة أعنف من ذلك ، وهي الكشف عن شخصيات الكتاب الذين اندرجت فصولهم في الصحف مغفلة من كل امضاء ، وصار انتحالها أو نسبتها الى غير أصحابها أمرا ممكنا ، مع ما يترتب على ذلك من خلط في تاريخ الأدب . ولهذا حرص فؤاد صروف عندما أصدر كتابه « موعد مع التاريخ » على تبيان أن جانبا من فصول هذا الكتاب قد ظهر في الصحف بغير امضاء ، فأنصف نفسه وأنصف الحق والواقع ، وأعان الباحثين في مهمتهم أجمل عون ■



كهربائية الجو والصواعق

بقلم الدكتور نقولا شاهين

تحول مانعات الصواعق دون الاضرار الكبيرة التي قد تنجم عن عملية تفريغ كهربائي كبيرة كهذه.

(تصوير شركة وستنج هاوس)

يعود الفضل في اكتشاف ظاهرة الكهرباء الى « تاليس » ، أحد علماء اليونان ، وذلك منذ نحو ألفين وخمسمائة سنة ، عندما اكتشف أن المادة المعروفة « بالكارب » ، أي صمغ العنبر ، وهي تدعى « الألكترون » في لغتهم ، قادرة على جذب قطع صغيرة من القش أو الورق بعد دلكها جيدا . والكارب مادة « راتنجية » صفراء ، تستعمل في صنع المسابح والقلائد . فمن هنا كانت نقطة الانطلاق في علم لم يقف عند حد في تطوير حياة الانسان . وقد تبين فيما بعد أن أجساما أخرى كالزجاج والشمع قادرة على جذب القش والورق اذا ما دلكت بقطع من الحرير أو الصوف . أما كلمة « كهرباء » المتداولة بين الناس ، فتعني « جاذب القش » .

ثم أخذت أنظار العلماء تتجه نحو اكتشاف كنه قدرة هذه الأجسام على جذب غيرها بعد دلكها . فتوصلوا الى نتيجة مؤداها ان كل جسم يتألف من دقائق ، تتخللها جسيمات صغيرة جدا ، تدعى « ألكترونات » أو « كهارب » ، وهي تحمل شحنة كهربائية سالبة ، ويقابلها كمية معادلة من الجسيمات التي تحمل شحنة موجبة ، فيصبح الجسم متعادل الشحنة . وعند الدلك تنتقل بعض الكهارب السالبة من جسم الى آخر ، فيختل التوازن ، ويصبح أحد الجسمين سالب الشحنة ، والآخر موجبها ، فيحصل التجاذب والتدافع ، كما هي الحال بين قطبي المغنطيس . أما سبب اختفاء خاصة التجاذب والتدافع بين هذه الاجسام ، بعد فترة من الوقت ، فانه يعود الى انتقال الكهارب السالبة من جسم ما الى الأرض ، أو من الأرض الى ذلك الجسم لدى لمسه . والأرض هي بمثابة مستودع كبير يمدنا بالكهارب اللازمة ويخزن ما يصله منها ، كما هي الحال عندما يحصل تفريغ كهربائي (صاعقة) بين السحب والأرض .

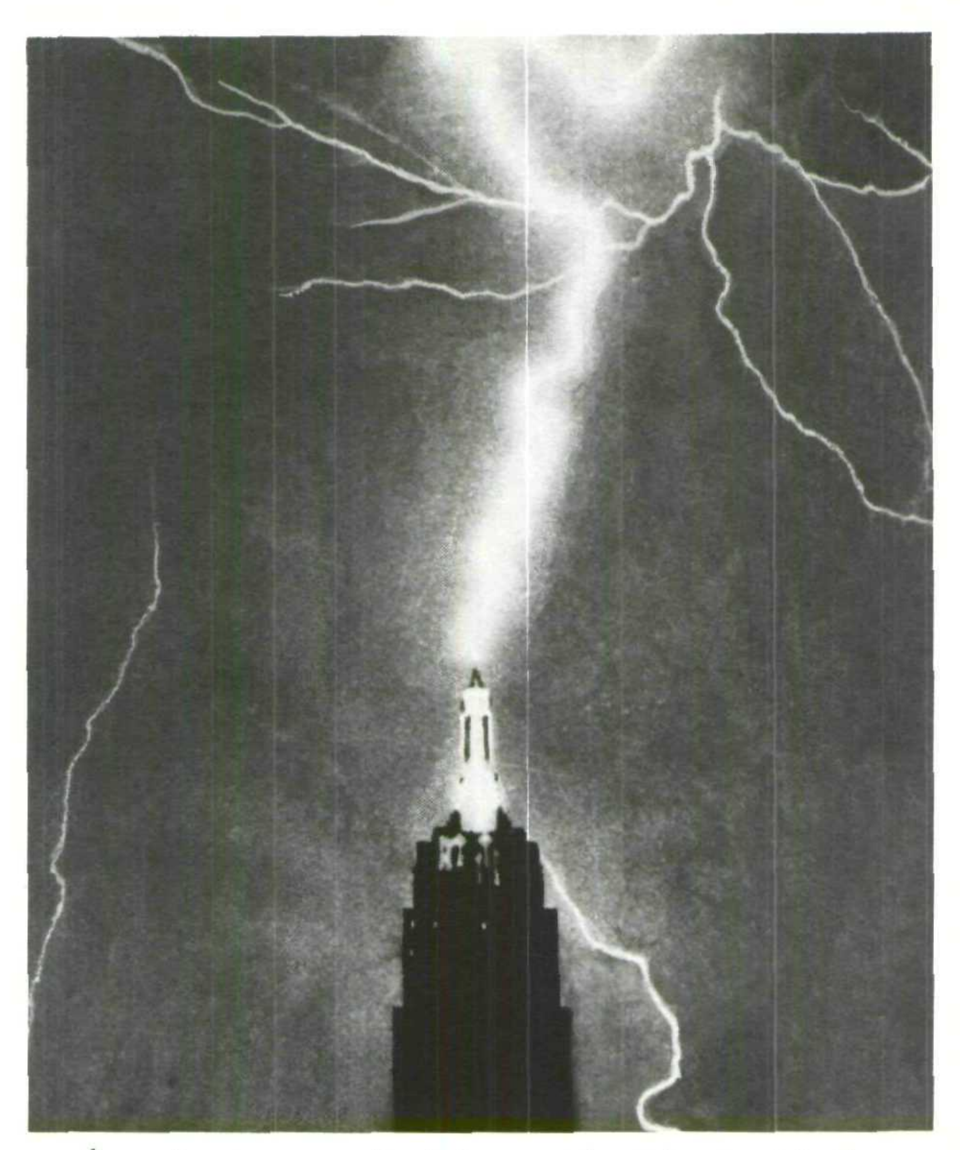
ومن المسلم به اليوم أن الغيوم تكون تارة مشحونة بشحنات موجبة ، وتارة بشحنات سالبة ، فتتولد بالتأثير شحنة مختلفة على سطح الأرض ، وينتج عن ذلك تفريغ كهربائي يشبه الشرارة التي تحصل عند اقتراب سلكين يحملان شحنة كهربائية ، وهذا التفريغ هو المعروف « بالصاعقة » . وتبلغ سرعة هذا التفريغ نحو مائتي كيلو متر في الثانية ، فيؤين الهواء أثناء مروره ، محدثا بذلك تفريغا آخر ، وهكذا تحصل سلسلة من الصواعق في الممر نفسه ، تبلغ سرعتها نحو عشرين ألف كيلو متر في الثانية . وفي الوقت نفسه ، تنطلق شرارة من الأرض ، وتلتقي بالشرارة المنطلقة من السحب ، فيصبح الاتصال تاما بين السحب والأرض ، وعندها يحصل تفريغ قوي يعرف بالصاعقة . أما البرق فهو الظاهرة الضوئية التي ترافق الصاعقة بسبب ارتفاع حرارة الهواء . وكل سنتيمتر منه يقابله جهد كهربائي مقداره ١٠ ملايين فولط . وقد سجلت جامعة « بتسبرغ » في الولايات المتحدة الأميركية برقا ذا قوة تكفي لانارة ستمائة ألف مصباح كهربائي ، من فئة ٦٠ واط لمدة نصف دقيقة . وعندما يحدث برق بسبب فارق في الجهد بين سحابة علوها ٢٠٠٠ متر والأرض ، فان ذلك يحدث بسبب قوة محركة مقدارها ٦٠٠ مليون فولط . أما الحرارة المتولدة عن ذلك فانها تبلغ نحو ٢٠ ألف درجة مئوية .

وتتخذ الصاعقة أشكالا مختلفة ، أغربها الشكل الكروي ، التي تبدو فيه ككتلة من نار مشحونة بالغازات الناقلة للكهرباء .. تدخل البيوت ، وتنزل السلالم ، وتدور على نفسها في الغرف المظلمة ، وتنتهي في زاوية من زوايا البيت . وفي جميع الحالات يرافق الصاعقة صدمة أو هزة عنيفة ناتجة عن التغير الفجائي في الأجسام الكهربائية . ومعلوم أن الصاعقة تنقض غالبا على الأماكن الناتئة بالنسبة الى ما يحيط بها من أجسام ، كالأشجار المنفردة والبيوت العالية ، والمآذن ، وقبب الكنائس حيث توجد الأجراس النحاسية . ويرافق التفريغ الكهربائي عادة انفجارات تسحق الصخور ، وتمزق المداخن العالية ، وسقوف البيوت وجدرانها ، وتشتت أجزاءها الى مسافات بعيدة . وكثيرا ما تمزق جذوع الأشجار وتنزع قشورها عنها ، أو تتلفها تماما بسبب تبخر جزيئات الماء وتفككها داخل جذوعها بصورة فجائية . أما الحرارة المتولدة عن ذلك فانها قادرة على اذابة المعادن واضرام النيران في المواد الملتهبة، ويرافق ذلك خسارة في الأرواح أحيانا .

كانت الصواعق ، ولا تزال ، من ألدّ أعداء الانسان وأقواها . وليس هنالك سبيل لإيقاف مفعولها ومجابهة أخطارها وأضرارها بالوسائل المعروفة لدينا . غير أن مراكز الأبحاث تجري دراسات وتجارب واسعة النطاق في هذا الحقل . وقد خصصت مبالغ كبيرة لدراسة فيزياء الصواعق ، وكيفية محاربتها قبل حدوثها ، وذلك بزرع « ايوديد الفضة » في أسفل قاعدة السحابة الراعدة بواسطة مولدات تحملها طائرات صغيرة . وهنا ترتفع جزيئات « الايوديد » نحو السحابة بسبب مجاري الهواء ، فيتحول الماء الى جليد بفضل التبلور الذي يرافق هذه الجزيئات ، وبالتالي تقل قوة تراكم الشحنة الكهربائية . وقد أثبتت هذه العملية نجاحا ملحوظا في منع ثلث الحوادث في الحالات التي زرعت فيها جزيئات « ايوديد الفضة » .

يذهب البعض الى أن البرق ينتج عن كهربائية الجو العادية ، مهما كان سبب العاصفة الراعدة ، لكن المشاهدات تثبت خلاف هذا ، اذ انه على الرغم من أن الفرق في الجهد الكهربائي بين سطح البحر ونقطة ما على ارتفاع معين ، هو نفسه في جميع أنحاء العالم ، فان عدد العواصف الراعدة ودرجة قوتها ، يختلفان من مكان الى آخر . ومع أن الفرق في الجهد الكهربائي في مكان ما يكون في فصل الشتاء أكثر مما هو عليه في فصل الصيف ، الا أن العواصف تكثر في فترة الصيف . ويبدو هذا غريبا لأول لحظة ، لأننا تعودنا أن نحصر حصول العواصف الراعدة في فصل الشتاء . ويقول أحد العلماء في هذا الصدد ان هذه العواصف تحصل مرة كل عشر سنوات في المناطق القطبية ، بينما تتكرر مرتين في الأسبوع ، وأحيانا مرة في اليوم لمدة قصيرة ، في كثير من المناطق الحارة حيث ترتفع درجة الرطوبة . ويقدر عدد هذه العواصف بحوالي أربعة وأربعين ألفا يوميا ، منها نحو ألف وثمانمائة تحصل في آن واحد في أي وقت من الأوقات . كما يحدث وميض البرق مائة مرة في الثانية .

لقد تمت أول تجربة استكشافية للتأكد من أن جو الأرض غني بالدقائق الكهربائية ، على يد « فرانكلن » ، وذلك عندما أرسل طيارة من الورق عام ١٧٣٢ مجهزة بإبرة معدنية نحو السحب العاصفة . لكنه لم يحصل على شيء في بادىء الأمر لأن حبل الطائرة الورقية كان مصنوعا من القنب . ولما أمطرت السماء ابتل الحبل ، فأصبح موصلا جيدا للكهرباء ، وبذلك تمكن « فرانكلن » من الحصول على شرارات يبلغ طولها نحو عشرة سنتيمترات تقريبا ، أشعل بواسطتها النار ، وشحن بها بعض المكثفات . وبهذه الوسيلة استطاع « فرانكلن » القول بأن الصاعقة تشبه التفريغ الكهربائي الذي يحدث في المختبرات بين جسمين يحملان شحنات كهربائية مختلفة . من هنا بدأ تفكير « فرانكلن » بصنع مانع الصواعق ، وهو قضيب معدني محدب الرأس ، يرتفع بضعة أمتار فوق سطح البناية ، ويساعد على إسقاط الصاعقة في مكان معين ، ويحوّل



برج بناية « امباير ستيت » في نيويورك وقد ضربته الصواعق ذات يوم ١٥ مرة .. ولم يصب بأذى .

قوتها الكهربائية نحو الأرض حيث تضيع وتتلاشى . ولكن هذا الجهاز لا يعتبر وسيلة مضمونة لمنع الصواعق ، الا اذا كان مبنيا على دراسة دقيقة مضبوطة . أما طرق الوقاية العادية فهي الابتعاد عن المرتفعات في المناطق الجبلية ، واللجوء الى مغارة أو منخفض ، والابتعاد عن شجرة منفردة أو أدوات معدنية . أما في البيت فيجب الابتعاد عن المداخن وأجهزة الراديو والتلفزيون والتدفئة .

ولنلق الآن نظرة على ناحية أخرى لعبت فيها كهربائية الجو دورا مهما . ففي مستهل القرن العشرين تمكن العالم الايطالي « ماركوني » من إرسال أول إشارة لاسلكية من أوروبا الى أميركا . وكان العلماء وقتئذ يعتقدون بأن الأمواج اللاسلكية تنطلق من إحدى محطات الاذاعة ، وتسير في خطوط مستقيمة ، تماما كما تسير الأمواج الضوئية ، لتنفذ من غلاف الأرض الهوائي وتضيع في الفضاء . أما « ماركوني » فقد أثبت بتجربته هذه أن طبقات الجو العليا قادرة على أن تعكس هذه الأمواج اللاسلكية وتردها الى الأرض ، كما تعكس المرآة أمواج الضوء .

ومعلوم أن الهواء يحيط بالكرة الأرضية ويؤلف غلافا جويا تقل كثافته تدريجيا حتى نصل الى علو ينعدم عنده الهواء ، وذلك عند ارتفاع نحو مائة وستين كيلومترا . كما تمكن العلماء من درس صفات هذا الغلاف الهوائي وخواصه الكثيرة ، والتي أهمها الصفة الكهربائية وما ينتج عنها ، كالشفق القطبي والبرق . ولدى دراسة خاصية الجو الكهربائية في طبقاته المختلفة ، تبين من خلال التجارب التي أجريت أن الهواء عند سطح الأرض غير موصل للكهرباء ، بعكس الهواء في الطبقات العالية . وأن قدرته على توصيل الكهرباء تزداد بازدياد الارتفاع . لذلك فقد اتجهت الأفكار الى درس المنطقة المكهربة في جو الأرض ، ومعرفة مصدر كهربائيتها . وفي عام ١٩١١ ، حلّق أحد العلماء في منطاد الى علو ٥٠٠٠ متر ، واكتشف أن ظاهرة التأين تزداد مع الارتفاع ، الأمر الذي حمل العلماء على توجيه أفكارهم الى عوامل بعيدة عن الأرض .

والعامل الرئيسي في هذه الظاهرة هو أشعة الشمس التي تخترق طبقات الجو ، فتؤين جزيئات الهواء ، ويصبح بعضها يحمل شحنات سالبة أو موجبة بعد أن كانت شحناتها متعادلة . وتحتل الأشعة فوق البنفسجية المكانة الأولى في تأيين طبقات الهواء .



الشجرة المنفردة في الأرض المنبسطة تجذب الصاعقة .. وذلك ماحصل فعلا ، وكانت النتيجة هذه الضحايا من الأبقار ، لقربها منها .

تتعرض البوارج اكثر من غيرها للصواعق لأنها مصنوعة من الفولاذ ، ولانها غالبا ماتكون منفردة في بقاع فسيحة .



وهنالك عوامل أخرى تتسبب في حدوث هذه الظاهرة منها الأشعة الكونية ، كما أن الهواء في حالته الطبيعية ، يحتوي على مصادر للإشعاع الراديومي ، تنطلق باستمرار من الأرض الى الجو . ولنلق نظرة على بعض ما يحدث في جونا بسبب ما يحويه من كهرباء مؤينة . لقد تبين أن هذا الغلاف المؤين يتألف من طبقات متعددة ، لها تأثيرها البالغ على الأمواج اللاسلكية . وتسير هذه الأمواج دونما عائق في الطبقة الهوائية الخالية تقريبا من الأيونات ، أي على علو أربعة أو خمسة كيلومترات من سطح الأرض . ولكنها سرعان ما تنعكس وتعود الى الأرض عندما تصل الى الطبقة الأولى المكهربة التي تمتد الى علو مائة كيلومتر ، والتي تعكس الأمواج اللاسلكية الطويلة والمتوسطة . أما الأمواج القصيرة فيمكنها اختراق هذه الطبقة ، لكنها تنعكس وتعود الى الأرض عندما تصل الى الطبقة الثانية عند ارتفاع مائتي كيلومتر . وهنالك طبقة مكهربة ثالثة ، تعكس أمواجا أقصر من تلك التي تقدم ذكرها ، ويبلغ ارتفاعها نحو ثلاثمائة كيلومتر .

لقد أدت هذه الدراسات خدمات جلّى في حقل الاذاعة اللاسلكية . فالاذاعات التي تعمل على أمواج طويلة تتبع طريقا موازيا لسطح الأرض ، حيث تصادف حواجز معدنية فتمتصها ، وتصطدم بالجبال والمباني فتعيق سيرها . وهذه الأمواج تفقد قوتها بالتدريج الى أن تتلاشى كليا . لذلك فانها تعتبر غير عملية بالنسبة للاذاعات الخاصة بالأماكن البعيدة ، الا اذا استخدمت قوة كهربائية عالية . أما الأمواج الأخرى فانها تجتاز مسافات بعيدة محافظة على قوتها ، فيتحقق بذلك الارسال الاذاعي الى الأماكن النائية دون استخدام قوة كهربائية .

لقد أجريت تجارب عديدة لمعرفة تأثير الدقائق المكهربة على الانسان من الناحية النفسية ، وذلك بالتحكم في عدد الأيونات في الهواء ، المستنشق ، زيادة ونقصانا — وقد تبين من ذلك أن الذين يتعرضون للدقائق الموجبة الشحنة ، تظهر عليهم علائم التعب والصداع والدوار ، وتزول بإزالة هذه الدقائق من الهواء . لذلك فان العلماء يعكفون على دراسة هذه الناحية درسا وافيا ، لمعرفة ما قد يصادفه رواد الفضاء في رحلاتهم من صعوبات في هذا المجال .

ان الطريق شاق وصعب ، لكن الانسان يسير سيرا حثيثا في فتوحاته العلمية متوخيا تحقيق المزيد منها خدمة للانسانية والمعرفة ■



الأسلوب في القصة

بقلم الاستاذ حسين القباني

من البدهي أن الأسلوب من أهم العناصر التي تقوم عليها القصة القصيرة ، وهو بلا شك يختلف الى حد كبير عن أسلوب المقال ، أو الدراسة ، أو البحث الأدبي أو العلمي ، وعن أسلوب كتابة الخواطر أو السرد الصحفي في كتابة الأخبار والتعليقات والاستطلاعات .

وبدهي أيضا أن نجاح القصة يتوقف الى حد كبير على الأسلوب الذي تبدو به . فمهما بلغ موضوعها من القوة والاصالة ، ومهما توفر فيها من العناصر الفنية ، فان الأسلوب الركيك المضطرب لا بد أن يفسد هذا كله الى درجة يحس معها القارىء أن الكاتب لم يحسن التعبير عما أراد أن يقول .

واذا كان الأسلوب الركيك المضطرب يفسد القصة ذات الموضوع الجيد ، والصياغة الفنية ، فان الاسلوب المشحون بالبهرجة اللفظية ، والمحسنات البلاغية ، التي يستهدف بها الكاتب استعراض عضلاته البيانية يفسد كذلك القصة ذات الموضوع الجيد ، والصياغة الفنية .

ولا يعني هذا اننا نحرّم على الكاتب ، ولا سيما المبتدىء ، أن يستخدم بعض المحسنات البلاغية ، كالتشبيه ، والاستعارة ، والتورية ، وانما نقول ان هذه المحسنات ان كانت مقصودة لذاتها ، فانها مفسدة للقصة . أما ان كانت هذه المحسنات تخدم القصة وتقرّب بعض المعاني المجرّدة ، أو تؤكد بعضها لهدف معين ، فانها عندئذ تكون ضرورة لازمة ، بل ورفقة طيبة تضفي على القصة مزيدا من الجمال والاصالة والحيوية .

ان أسلوب القصة هو الرداء الذي تبدو به أمام القارىء ، والألفاظ هي النسيج الذي يصنع منه الرداء . واذا رجعنا الى ما قبل القرن العشرين ، وجدنا أن الناس كانوا يهتمون أشد الاهتمام بالبهرجة في المظهر .. فكانت ملابسهم إما فضفاضة جدا أو ضيقة جدا ، ولكنها تتميز بأشكال وصنوف من الوشي والنمنمة والزخارف والألوان الصارخة . وكلما ازداد الانسان في ذاك

الزمان أهمية في المركز أو في الثراء ، ازدادت ألوان الوشي وصنوف الزخارف في مظهره العام . وكما كانوا يهتمون بالبهرجة في الملابس ، كان ذلك ديدنهم أيضا بالنسبة لأسلوب الكتابة . أما الآن فقد أصبحنا في عصر آخر يتميّز بالسرعة وضيق الوقت لدى القراء والاتجاه الى البساطة القائمة على الفهم الحقيقي لجوهر الأشياء .

وعلى هذا فقد أصبح على الكاتب أن يقدم انتاجه للقارىء في ثـوب عصري جميل .. بسيط وأنيق وجذاب ومتلائم مع ميول القراء واتجاهاتهم الفكرية .

وعلى الكاتب — ولا سيما المبتدىء — أن يحذر كل الحذر من محاولة تقليد بعض الكتاب ، الذين يؤمنون بأن تقديم المعنى للقارىء ببساطة ووضوح دليل على الضعف ، ولهذا تراهم يغلّفون المعاني في كتاباتهم بألوان من التعقيد ، والتقديم والتأخير في العبارات والألفاظ ، والبحث عن الكلمات الحوشية الغريبة ، ظنا منهم انه كلما جهد القارىء في فهم المعنى كلما دلّ ذلك على عمق أفكار الكاتب وبعدها عن الابتذال والسطحية . ولكن الواقع ان الكاتب الذي يتعمد التعقيد في كتاباته يكون غير واثق من أصالته ككاتب فنان ، أو تكون المعاني غير ناضجة تماما في ذهنه .

والأسلوب البسيط الأنيق الزاخر بالحيويـة والجاذبية والوضوح على بساطته الظاهرة يحتاج الى جهد لا يقل عن الجهد الذي يبذله كاتب آخر من هواة العبارات الرنانة أو الكاتب الذي يغلف المعنى في كتاباته بالتعقيد ، حرصا على الابهام والغموض .

ان الأسلوب العصري السهل لكتابة القصة يحتاج الى معاناة في اختيار الألفـاظ العربية الصحيحة المعبرة بوضوح ، والى وضع هذه الألفاظ في عبارات قصيرة ، نابضة جذابة منظمة الترقيم منسقة النغم كأنها قطعة موسيقية عذبة الرنين . وهذه العناصر اذا توافرت في الأسلوب ، صار من نوع « السهل الممتنع » .

وثمة كتّاب يحبون أن يرصعوا عباراتهـم بكلمات « عامية » أو دارجة ، وبألفاظ موغلة في الواقعية « كالمجاري » و «الوحل » و «الصراصير » و «الندب » و «الزعيق » ، أو المنقولة عن ألفاظ أجنبيـة « كالبرجوازيـة » و « الديموجاجيـة » ، وغيرهما .

هؤلاء الكتّاب مخطئون في استعمال أي لفظ عامي في السرد اذا كان له مقابل في اللغة العربية الفصحى . وأنا أعتقد أن كل لفظ عامي ينحدر في الأصل من أصل عربي فصيح ، الا اذا كان وافدا من لغات أجنبية . ولكن لا بأس ، اطلاقا ، اذا اضطر الكاتب الى استعمال كلمة دارجة ، إن وجد أنها أدق تعبيرا وأشد تأثيرا ، أن يفعل ذلك ، بشرط أن يكون هذا الاستعمال بحذر وللضرورة فقط .

والأسلوب الجيد ، يعتمد اعتمادا كبيرا على الخبرة في الترقيم . الا أن الملاحظ — للأسف — أن بعض الكتّاب ، حتى الكبار منهم ، يهملون هذا العنصر ، ويعتمدون على النقط التي ينثرونها في عباراتهم بلا حساب .

واذا كان الكاتب المعاني ينثر النقط فـي عباراته وهو يحسب انها لون من الكتابة الحديثة أو العصرية فان له من حاسته الفنية وخبرته في الكتابة ما يجعل أسلوبه مستقيما جذابـا ، الى حد ما .

أما الكاتب المبتدىء المقلّد لهذا الأسلوب ، فانك تراه يبعثر هذه النقط ويفصل بها بين الفعل والفاعل ، وبين الفاعل والمفعول به ، وبين المضاف والمضاف اليه ، ثم يختتم فقرته بكمية ضخمة منها ، وربما يذيل هذه الكمية بعلامات من الاستفهام والتعجب دون مبرر .

ومن المهم أن يجعل الكاتب الأسلوب مطابقا لنوع القصّة وتنوّع المواقف فيها . فلا بأس مثلا أن يرتفع بأسلوبه الوصفي قليلا وبحذر شديد اذا اقتضى الموقف في القصة هذا . كأن يكون وصفا للطبيعة عندما يأخذ البطل والبطلة فـي المناجاة بعد وصولهما الى مكان شاعري جميل .

ان هذا الوصف ، المكتوب بحذر وبعد عما يبعث عـلى الملل ، يخدم القصة ، ويجسّم جوّها ولا يتعارض مع الوحدة الأسلوبية .

وعلى الكاتب أن يتجنّب تكرار عبارات معيّنة ، بالألفاظ والصياغة نفسها في كتاباته ، دون وعي منه ، أو بدافع من التعلّق الغريزي بهذه العبارات .

ويجدر بالكاتب المبتدىء أن يذكر جيدا ان اعجابه مثلا بأسلوب كاتب معين ، لا يستلزم أن يحاكيه أو يقلّده الا بقدر . وعليه أن يحاول التميز بأسلوبه وشخصيته لأنه لن يستطيع أن يكون نسخة مكررة من الكاتب الذي يقلّده ، ومحتفظا بأسلوبه في الوقت ذاته .

والكاتب المعاني يحاول أن يسكب المعنى في أقل عدد ممكن من الألفاظ . ولا يعني هذا أن يكتب بطريقة التلغراف أو بالأسلوب الخبري ، وانما المقصود أن يحذف كل كلمة لا تخدم المعنى أو تضفي عليه الجاذبية المطلوبة .

وبالاضافة الى ذلك أقول للكاتب بصدق واخلاص : لا تكن فخما ضخما مزهوا بأسلوبك فخورا بنفسك . فالقارىء لا يهمّه هذا عنك ، بل ربما يضيق به ، وانما يهمه أن يقرأ لك دون أن يحسّ بأصبعك التي توجهه بها الى ملاحظة هذا أو ذاك من المعـاني الواردة في الموضوع أو القصة .

ثم أكتب وكأنك تتحدث الى صديق عزيز عليك ، فان هذا اللون من الكتابة يجعل القارىء يحسّ أنك صديقه ، وأنك متجاوب معه ، وأنك لا تحاول أن تتعالى عليه باستاذيّتك . وانسَ أن في يدك قلما وأنت تكتب . دع القلم يكتب أفكارك ببساطة وسهولة ، فان ذلك يجعل اسلوبك مليئا بالحيوية والمرونة والبساطة .

وأخيرا ليس آخرا لا تحاول أن تبدو خفيف الظل وأنت تكتب قصة جادة ذات طابع مأساوي لأنك في هذه الحالة ستكون كالضاحك في موقف حزين مؤثر ■



بقلم الاستاذ الغزالي حرب

بدأ عام ١٩٣٢ باحتجاب عدد من المجلات ، وفيه طويت صحيفة أمير الشعراء أحمد شوقي ، وشاعر النيل حافظ ابراهيم ، فتضاعفت أحزان الأدباء والشعراء فيه ، حتى سموه « عام الحزن » . لكنهم ما لبثوا أن ودعوه ليستقبلوا العدد الأول من مجلة « الرسالة » يوم الأحد ١٨ رمضان ١٣٥١هـ (١٥ يناير ١٩٣٣م) .

وفي مفتتح هذا العدد الأول ، وتحت عنوان « الرسالة » كتب صاحبها ورئيس تحريرها الأديب الراحل الأستاذ أحمد حسن الزيات يقول : « .. وأخيرا تغلب العزم على التردد الخوار ، فصدرت « الرسالة » . وما سلط على نفوسنا هذا التردد ، الا نذر تشاع ، وأمثال تروى ، وكلها تصور الصحافة الأدبية في مصر سبيلا ضلت صُواها ، وكثرت صرعاها ، فلم يوف أحد منها على الغاية . والعلة أن السياسة طغت على الفن الرفيع ، والأزمة مكنت للأدب الرخيص ، والأمة من خداع الباطل في لبس من الأمر ، لا تميز ما تأخذ مما تدع . فلما تناحرت على هذه الوساوس حجج العقل ، ونوازع الواجب ، وعدات الأمل ، أصبحت الأسباب التي كانت تدفع الى النكول ، بواعث على الاقدام وحوافز للعمل .. » الى آخر هذه الافتتاحية البليغة الرصينة ، التي أشارت على وجازتها الى حال الصحافة الأدبية وقت ظهور العدد الأول من « الرسالة » ، والى الأهداف التي وضعتها « الرسالة » نصب عينيها ، وأهمها : ربط القديم بالحديث ، والوصل بين الشرق والغرب ، والمواءمة بين العلم والدين ، والتوفيق بين الفرد والجماعة في الحق والواجب ، واستعداد صاحب « الرسالة » للتضحية بكل مرتخص وغال في سبيلها ، وثقة الرسالة بنفسها وبأصدقائها من الأدباء والكتّاب والشعراء . وقد قدم الأديب الراحل مجلته الى القراء في ختام تلك الافتتاحية بقوله : « فالى أبناء النيل وبردى والرافدين ، نتقدم بهذه الرسالة راجين أن تضطلع بحظها من الجهد المشترك في تقوية النهضة الفكرية ، وتوثيق الروابط الأدبية ، وتوحيد الثقافة العربية ، وهي على خير ما يكون المخلص من شدة الثقة بالمستقبل ، وقوة الرجاء في الله » .

وظلت « الرسالة » معظم عامها الأول ، تصدر مرة كل أسبوعين الى أن بدأت بالصدور أسبوعية ابتداء من يوم السبت ٢ ديسمبر ١٩٣٣ ، وأصبحت تصدر بعد ذلك في يوم الاثنين من كل أسبوع حافلة بالأبواب الأدبية والثقافية والفكرية .

وفي العدد ٩٩٢ كتب الأستاذ محمد الأرناؤوط تحت عنوان « اقتراح ودعوة » ، يقول : « اني أقترح على راعي هذه المجلة الأستاذ الزيات أن يخرج من العدد الألفي عددا ممتازا . واني أدعو أدباء العروبة ، أن يتبادروا للمشاركة ، في هذه المأثرة الأدبية النادرة تحية للرسالة بمناسبة عددها الألفي . » وفي مفتتح هذا العدد الألفي ، الصادر أول سبتمبر ١٩٥٢ كتب الأستاذ الزيات تحت عنوان « بلغنا العدد الألف » ، يقول : « نعم ، بلغنا العدد الألف ! ومعنى ذلك انقضاء ألف أسبوع من عمر الرسالة الباقية ، أو عشرين عاما من عمر صاحبها الفاني . وان عشرين عاما يقضيها الكاتب المتأهل في هذا المرصد الأدبي والاجتماعي يصوب مناظيره الى كل سماء ، وينصب مخابيره في كل أرض ، لتكشف له عن ظواهر في الآفاق وعن بواطن في الأنفس ، ما كان ليراها لا بعينه ولا بقلبه لو أنه جلس مجلس المشاهد المتفرج في مسرح الحياة .. قضيت ثلث عمري الأعلى والأغلى دائبا دؤوب القمرين ، أعمل ليل نهار ، في عالم عبقري الأحلام والرؤى ، يزخر بالعقول النيرة ، والأخيلة الخصبة ، أناجيهم بالروح ، وأخاطبهم بالقلم ، وأقابلهم في البريد ، وأجعل لهم من صفحات الرسالة رياضا يهيمون على زهورها مع الفراش ، وحقولا يعسلون من رحيقها مع النحال ، حتى اجتمع لهم من أفانين الحق والخير والجمال ، عشرون مجلدا ضخما هي تاريخ نهضة ، وتراث جيل .. » وبعد أن يقص الأستاذ الزيات ما كان بينه وبين أخيه الدكتور طه حسين من حوار قبل ظهور مجلة الرسالة في ذات عشية من عشايا نوفمبر من عام ١٩٣٢ ، يقول : « .. وأخيرا تغلب العزم المصمم ، على التردد الخوّار ، فصدرت « الرسالة » قوية بالروح غنية بالمادة ، فتية بالأمل ، فكانت — ولله الحمد — حدث العام ، وحديث الناس . صادفت خلاء فشغلته ، وخللا فسدته ، وعبثا فحاولت أن تصد عنه بإيقاظ النخوة في الرؤوس ، والكرامة في النفوس ، والرجولة في النشء ، ثم

حركت في الملكات الموهوبة ساكن الشوق الى الانتاج فأبدعت ، وأهابت بالقوى الأدبية المتفرقة فتجمعت ، ثم سفرت بين الأدباء في كل قطر من أقطار العروبة ، فعرفت بعضا الى بعض ، وأطلعت كلا على عمل كل ، ثم قادت كتائب الفكر والبيان في ميادين الاصلاح الأدبي والاجتماعي على نهج واضح من الدين والحق .. فكتب الله لها النصر في معارك . ولو كانت الرسالة اليوم بسبيل أن تكشف عن قلبها ، وأن تتحدث بنعمة ربها ، لذكرت – فيما تذكر – بلاءها العظيم في انهاض الأدب ، وتخريج طبقة من الأدباء ، وتثقيف أمة من القراء ، ولكنها ترى ذلك من لغو الحديث ، ما دامت أعداد المجلة محفوظة .. » الى ان قال : « على أننا نطمع في فضل الله أن يزيد الرسالة قوة ، وما تسأل الرسالة العون الا من الله ، فقد عودها – جل شأنه – ألا تفزع الا اليه ، فيما يحزب من أمر ، وما ينوب من مكروه .. »

ذلك مما قاله الأستاذ الزيات بمناسبة صدور العدد الألفي من « الرسالة » في أول سبتمبر ١٩٥٢ ، وما كان – رحمه الله – يدري أنه بعد خمسة أشهر ونصف الشهر ستحتجب « الرسالة » ، فقد أوقفت عن الصدور يوم ١٥ فبراير ١٩٥٣ بعد أن قضت زهاء عشرين عاما في ميدان الجهاد الثقافي .

وبعد احتجاب « الرسالة » بأكثر من عشرة أعوام ، عادت للصدور ، وكان ذلك يوم ٢٥ يوليو ١٩٦٣ ، ولكن شتان ما بين الرسالتين !

وها هوذا صاحب الرسالة نفسه يودع هذه الحياة ، وفي يمناه قلمه الرائد الأصيل الفذ ، الذي لم يأل جهدا في أداء الرسالة كما ينبغي ، موائما بين مادية العلم وروحانية الدين ، وملائما بين تطور الحياة وسماحة الاسلام ، ومزاوجا بين حرية الفرد ومصلحة الأمة ، ومعتصما أولا وأخيرا بحمى لغتنا الفصحى ، وقيمنا الانسانية ، ومثلنا العليا ، وتقاليدنا الفاضلة ، فما شغلته اللذة عن الافادة ، ولا المنفعة عن الواجب ، ولا الاثارة عن الانارة لأن رسالته كانت طوال حياتها العريضة لا الطويلة ، رسالة التجديد لا التبديد ، والبناء لا الهدم ، والنظام لا الفوضى .

وسلام على « الرسالة » ، ورحم الله صاحبها .

مِن شَطائِرِ القَافِلَة

كم من شطيرة تغني حيث لا تغني سواها ، وكم من كلمة موجزة تصادف من الصدور انشراحا ، ومن النفوس ارتياحا

أولو العزم

ولا نعني بهم هنا أولي العزم من أنبياء الله ورسله .. فهذه نجوم نهتدي بنورها ، وهيهات أن نرتفع الى منارها . وانما نعني بأولي العزم ، أصحاب الارادة القوية الجبارة ، التي شقوا بها طريقهم في الحياة صابرين مثابرين ، حتى وصلوا الى ما وصلوا اليه من قمم التاريخ وهامات المجد ، على الرغم من بيئاتهم الفقيرة ، وأعمالهم أو حرفهم الصغيرة التي زاولوها حينا من الزمان ، وعلى الرغم من قسوة الظروف والعقبات التي لم تزدهم الا ايمانا على ايمان .

– فأبو بكر الرازي ، الطبيب العربي المعروف ، الذي تدين له أوروبا بالكثير من الفضل ، كان مغنيا يضرب على العود .

– والحسن بن الهيثم ، رائد علم البصريات ، كان عاملا ينسخ الكتب بحيّ الأزهر الشريف .

– والخليل بن أحمد ، واضع علمي العروض والقوافي ، كان عاملا في طرق النحاس .

– وأبو تمام ، الشاعر ، عرفه جامع عمرو ابن العاص سقاء يحمل قربة الماء ليسقي المصلين .

– وابن الصابوني كان خازنا لمكتبة ببغداد ، فلم يرض لنفسه الجهل بالكتب التي كان مؤتمنا عليها ، وعكف على القراءة والاطلاع في صبر ودأب ، حتى أخرج لنا كتابه « مجمع الآداب » في خمسين مجلدا ، وكتابه « درّ الاصداف » في عشرين مجلدا .

– وياقوت الحموي لم يكن الا عبدا أجيرا ، وكان مولاه يرسله للتجارة في المدن والامصار ، فانتهز هذه الفرصة للقراءة والدراسة والفحص حتى أخرج لنا كتابه المعروف « معجم البلدان » .

– و « شكسبير » لم تمنعه ادارة الملاهي والمسارح من النبوغ في شعره الباقي بمرور الزمان .

– و « اسحاق نيوتن » ، العالم الطبيعي المشهور ، كان مطلع حياته عاملا صغيرا في مضرب للنقود .

– و « فاراداي » ، العالم الطبيعي الفرنسي ، كان يعمل في صناعة تجليد الكتب .

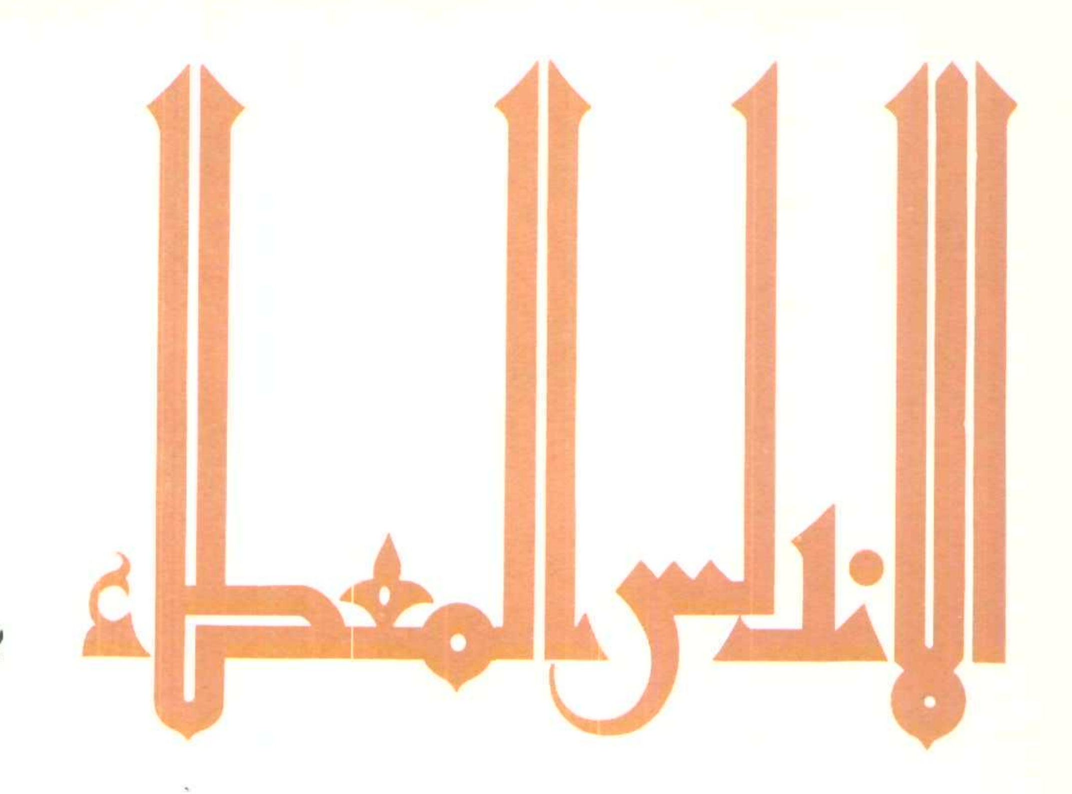
– و « هنتر » ، الذي يعد من أعظم علماء الحيوان ، كان نجارا ، وفي وقت فراغه كان يعكف على دراسة الحيوان ، وجمع نماذج من أنواعه المختلفة . وعندما مات ترك وراءه مجموعة قيمة انشغل العلماء من بعده أكثر من عشرة أعوام في ترتيبها وتقسيمها .

– و « بلزاك » حاول أبوه أن يحول بينه وبين دراسة الأدب قائلا : يا بني ان من يدرس الأدب تنتهي به الدراسة الى أن يكون ملكا أو متسولا ... فأجابه : حسن يا أبتي وسأكون ملكا لا متسولا ، وبفضل قوة ارادته وصدق عزيمته أصبح ذا مكانة مرموقة في تاريخ الآداب الأوروبية .

– و « ولتر سكوت » أحاطت به الفاقة والهموم والديون في مطلع حياته ، فتغلب عليها بقلمه الذي برع في وصف الحياة الاجتماعية لعصر الابطال في القرون الوسطى .

– و « كارليل » أعار أحد أصدقائه الجزء الأول من تاريخ الثورة الفرنسية ، بعد أن قضى في تأليفه عدة أعوام . ولما أراد استرداده ، أخبره صديقه أن الخادم أحرقه عن جهل أو خطأ ، فحزن لذلك أشد الحزن ثم عكف مرة أخرى على الوثائق التاريخية حتى أعاد تأليفه أحسن مما كان ، بعد جهد جهيد ، وعناء شديد .

– وقد قال « جوته » : « يا رب .. لا أسألك أن تخفف حملي ، ولكن أسألك أن تقوي ظهري » وقال أيضا : « الضربة التي لا تميتني تزيدني قوة . »



بقلم الاستاذ عبد الله خشيم

— أتدري يا ابن عبد ربّه ، كم هي أيام سروري الصافية ، منذ أن بويعت بالخلافة الى اليوم ؟

قالها الخليفة الأندلسي عبد الرحمن الناصر ، لشاعره ابن عبد ربّه ، عصر يوم أراد فيه الانصراف عن مهام الدولة ، الى ما ينسيه بعض ما فيها من مشكلات ومتاعب . والشاعر اللبق يعرف كيف يوفر له الأسباب التي تساعده على هذا النسيان . قال :

— كم هي ، يا أمير المؤمنين ؟

— أربعة عشر يوما .

قال الشاعر دهشا :

— أربعة عشر يوما ، من أربعين سنة على كرسي الملك ؟!

— من أربعين سنة .. ان اعباء الملك لجسام ، وهيهات أن يجد حاملها يوم راحة . فكيف بيوم سرور يضيفه الى أيام سروره ؟

وسكت الشاعر . ولما طال سكوته ، قال له الخليفة :

— ما بالك سكت ؟

— اني أفكر ، يا أمير المؤمنين .

— وفيم تفكر ؟

— في أيام سرورك هذه ، فأجد أن ثمة خطأ في حسابك لها .

— وكيف ذلك ؟

— ذلك أن من يهب قرطبة عمره ، ويجعل منها عاصمة الدنيا ، عمرانا وثروة وثقافة وفنا ، لا تحسب أيام سروره الصافية بعدد الأيام التي يوفر فيها السرور لنفسه بل بعدد الأيام التي تغمر السعادة فيها أبناء رعيته .

واطمأنت نفس الخليفة الى ما سمع ، وقال :

— صدقت يا هذا ، صدقت .

وأقبل اذ ذاك أحد الحجاب ، وقال : أعدّ الزورق ، يا مولاي .

فقال الخليفة : نخرج اذن للتنزه .

• • •

جنة الدنيا كانت الأندلس ، ودرّة الأندلس كانت قرطبة .. وكل ما في قرطبة جميل ، ومن أجمل ما فيها نهرها الجاري بين ضفتين فيهما الشجر والزهر والثمر ، وفي أعطافهما الخضراء ملتقى العشاق والمغنين المتنزهين .

وعلى مياه النهر تهادى زورق الخليفة بمن فيه ، متنكّرين .

وعلى أنغام عود شجيّة ، حمل النسيم المعطار من احدى الضفتين غناء رقيقا نفذ الى أعماق نفس الخليفة :

أيها الراكب الميمّم أرضي
أقر بعض السلام عني لبعض
ان جسمي كما تراه بأرض
وفؤادي ومالكيه بأرض
قدّر البين بيننا فافترقنا
وطوى البين عن جفوني غمضي
قد قضى الله بالفراق علينا
فعسى باجتماعنا سوف يقضي ..

وأثار القول في نفس الرجل الكبير ، الحامل على منكبيه أربعين سنة من نضال ليس فيها غير أربعة عشر يوم سرور ، شجنا ، فقال :

— انّا لله وانّا اليه راجعون .. أتعرف هذا الشعر ، يا ابن عبد ربّه ؟

قال الشاعر :

— ومن لا يعرفه ، يا أمير المؤمنين .. انه من شعر جدك ، عبد الرحمن بن معاوية ، رحمات الله عليه .

— كبيرا كان جدّي هذا ، بشهادة أعدائه أنفسهم ، أتدري ما قال فيه خصمه الأول أبو جعفر المنصور ؟

— ليس لأبي جعفر أن يقول غير الواقع .

— قال ، وقد سئل يوما عمن يكون صقر قريش : « صقر قريش هو عبد الرحمن ابن معاوية ، ذاك الذي خرج من أرض قومه طريدا ، وقطع البرّ والبحر منفردا بنفسه ، وراح

الى الأندلس يشيد فيها ملكا يعتز به كل عربي. »
وسمع من على الضفة قائل :
— ليت سادة الزورق الذي نرى يسمحون لنا بالتنزه معهم .
قال الخليفة :
— غرباء هم ولا شك ، ولا بأس في تحقيق أمنيتهم . دعوهم فليأتوا الينا من غير أن يعرفوا من نحن .
— يا قوم ، صاحب الزورق يدعوكم الى التنزه حسب رغبتكم في رفقته .
كانوا ثلاثة ، وقبلوا الدعوة شاكرين .
وارتاح الخليفة الى ما فعل ... وقال لهم ، وقد تبين له أنهم غرباء حقا :
— بيض الوجوه من أين أنتم ؟
قال أحدهم :
— أنا من قشتالة وأدعى غومس ، ورفيقي هذا من رومة ويدعى همبرتو ، وثالثنا هذا من القسطنطينية ويدعى يوحنا .
— وما جمعكم هنا ؟
— طلب العلم .
— وأي علم تطلبون ؟
— الطب ، والفلك ، والهندسة .
— أما في بلدانكم معاهد لهذه ؟
قال يوحنا :
— ليس في بلدي مدينة علم كقرطبة .
وقال همبرتو :
— ولا في بلدي خليفة يدعو الى العلم كعبد الرحمن الناصر .
قال الخليفة كاتما ارتياحه :
— وهل عرفتم الخليفة ؟
قال يوحنا :
— ما رأيته مرة من قرب .
وقال غومس :
— ولا أنا رأيته .
وقال همبرتو :
— أما أنا فأراه كل يوم ، أراه من غير أن أراه .. أراه في عمران بلاده وازدهارها ، وفي حالة الأمن والرخاء والطمأنينة التي تسود هذه البلاد ، وفي قصره « الزهراء » الذي ملأت أخبار عظمته الدنيا .
قال الخليفة :
— ولكن هذا القصر كلّف الخزينة ، ويكلفها كل يوم ، الأموال الطائلة .
قال همبرتو :
— ليس هذا القصر للخليفة ، انه لقرطبة وللأندلس وللتاريخ . كل ملك يزول ، وتبقى آثاره شاهدة عليه ، ومهما تبذل الخزينة من مال ، لاقامة شهادة كهذه ، يظل بذلها قليلا بالنسبة الى أثره .
قال الخليفة مبتسما :
— من قولك أرى أنك سليل الألى ملأت آثارهم الشرق والغرب .
قال همبرتو :
— ونحن بهذه الآثار نعتز ، بعد أن لم يبق سواها من عزنا القديم الغابر ، وليس في الدنيا من ينازعنا فخر نسبتها الينا .

° ° °

عاد الخليفة ومن معه من نزهته النهرية ، وللبشر والارتياح على وجهه علامات . وقال لشاعره :
— سأضيف هذا اليوم ، يا ابن عبد ربّه ، الى أيام سروري .
قال الشاعر :
— ولكن أمير المؤمنين صدّقني اذ قلت أن أيام سروره هي أيام سرور رعيته كلها .
— صدّقتك أجل . ومع ذلك فأنا أريد أن تكون لي أيام سرور خاصة . ان صاحب السلطان انسان ، له كأي انسان آخر أنانيته . ويسعدني أن يذكر التاريخ ، ان راح يعدّ الأيام التي خصصت نفسي بمسراتها ، أني كنت أقل أصحاب السلطان أنانية .
— ولكن ما سمعته ، من الفتيان الثلاثة الغرباء ، تسمعه كل يوم من رجال حاشيتك يا أمير المؤمنين.
— رجال حاشيتي ..
وسكت الخليفة لحظة ، ثم استأنف :
— أما هؤلاء فشهادتهم شهادة أهل . وأما الفتيان الثلاثة فقد قالوا ما قالوه من غير أن يعرفوا من أنا ، ومن غير أن يكون لهم مأرب أو غاية من قولهم .
وأردف قائلا :
— عرفت ولا شك محل اقامتهم .
قال الشاعر :
— أجل ، يا أمير المؤمنين .
— لقد تبين لي أنهم من أهل العسر ، على ما تزدان به نفوسهم الفتية من نجابة ، فعلينا أن نساعدهم بمالنا على تحقيق أمنياتهم .
— نعم المساعدة تبذل لغرباء .
— ليس طلاب العلم غرباء في بلد العلم . انهم هنا في بلدهم ، وعلى من يرعى العلم في هذا البلد أن يرعاهم لتتم الغاية المنشودة من عمله .

° ° °

كانت قرطبة في ذلك الحين مدينة كبرى ، فيها لكل طبقة من طبقات الشعب منازل ، ومنازلها موزعة على أحياء لا يصعب التمييز بين القديم والحديث منها .
وأقدم أحيائها كانت « القصبة » ، وفي قلبها كانت هذه ، وفيها كان خان أبي عثمان .
وخان الأمس فندق اليوم .. فيه يلتقي الغرباء من مختلف البلدان . ومن هؤلاء طلاب العلم ، أمثال الفتيان الثلاثة .
وفي خان أبي عثمان أقام هؤلاء الفتيان . في حالة عسر كانوا .
وأبو عثمان لا يقدر الحالة التي هم فيها . قال يخاطب غومس :
— وبعد ، أيها القشتالي .. إلام سأظل أمهلك ورفيقيك ، لوفاء ما لي عليكم من دين ، ولا تبالون؟
قال غومس حزينا :
— سنفيك دينك يا أبا عثمان ، فامهلنا بعدُ قليلا .
وأبو عثمان لا يعرف اللين ، قال :
— كل شهر مهلة .. وكلما توافر لكم المال ، رحتم تشترون به الكتب ، كأن بائع الكتب أحق من بائع النوم والطعام والشراب باستيفاء دينه !
— ولم جئنا من بلداننا اليكم ؟
— لتطلبوا العلم ، ولكن ليس على حسابي .. ليس لتناموا وتأكلوا وتشربوا عندي بدين لا أعلم متى أستوفيه ، وأنتم تعلمون أن خاني ليس بدار ضيافة .
قال غومس :
— سيأتي رفيقاي ونتدبّر الأمر .
قال أبو عثمان :
— هذا ما أرجو أن تفعلوه اليوم .

° ° °

في قاعة الخان العامة ، صفّت وموائد جلس النزلاء عليها ومن حولها ، وهم يتبادلون الأحاديث . والى إحدى الموائد جلس أحدهم منفردا .. كان يبدو وكأنه من كبار التجار ، وكانت بين يديه أوراق .
ووقعت عين قادم جديد عليه ، فدنا منه كمن لا يصدّق الصدفة التي جعلته يلتقي به في ذلك المكان ، قائلا :

— أبا حريز ؟

ولم يكن ارتياح أبي حريز الى لقيا القادم بأقل من ارتياح هذا الى لقياه ، فقال :

— غالب ؟

وكان سلام قال غالب بعده :

— ما أتي بك من اشبيلية اليوم ؟

قال أبو حريز :

— الأعمال ، يا صديقي .. نحن التجار غيركم معشر الأدباء والشعراء ، لا ننتقل من مكان الى آخر الا بداعي العمل ، بينا أنتم تتنقلون للذة تجدونها في التنقل .

قال غالب مداعبا :

— تعال نتبادل حظوظنا .

قال أبو حريز :

— حبذا لو استطعنا .. أعطيك أما مالـي وهمومي ، فهل في استطاعتك بالمقابل اعطائي علمك وخزائن أدبك ؟

— لستَ بحاجة الى هذا ، يا صديقي . لقد أغناك الله عنه بما وهب ولدك حريزا منه .

— له تعالى الحمد .

— وكيف حال حريز ؟

— بخير ، وهو معي هنا ، في قرطبة .

— وأين تركك ومضى ؟

قال أبو حريز مزهوّا :

— أين تريده أن يتركني ويمضي الا الى سوق الكتب ، للبحث عن مخطوطة نادرة يضيفها الى مجموعة مخطوطاته الثمينة ؟

وقبل أن يتم جملته أقبل حريز حاملا كتابا ، ووجهه الفتيّ يطفح حيوية ونضارة ، فقـال غالب مرحبا :

— أهلا بك ، يا حريز .

وفوجيء حريز برؤية غالب ، الأديب الشاعر الذي كانت تربطه بوالده روابط صداقة خاصة ، فقال له :

— السلام عليك ، يا سيّدي غالب .. أي صدفة سعيدة جمعتك بوالدي هنا ؟

قال غالب :

— انها لصدفة سعيدة حقا ، وقد تمّت سعادتي الآن برؤيتك . ما أنت حامل من نفيس الكتب ؟

قال الفتى مزهوا :

— رسالة المنجّم الضبي « هل القمر مسكون » ؟

— مخطوطة نادرة . وكيف حظيت بها ؟

— سمعت أحد الدلالين ينادي عليها في سوق الكتب ، فرحت أزيد في ثمنها الدفعة تلو الدفعة ، الى أن رست عليّ .

— وبم رست عليك ؟

— بخمسمئة دينار .

قال أبو حريز لغالب ، متصنعا عدم الارتياح الى الصفقة :

— أرأيت يا صديقي ؟

قال غالب :

— ماذا ؟

قال أبو حريز :

— هكذا يهدر الأبناء ثروات الآباء .

وغالب لا يجهل الى أي حد يزهو صديقه الأشبيلي بولده الطموح الى الحصول على العلم بأي ثمن ، قال :

— سلمت يد تهدر ثروة زائلة لاقتناء ثروة لا تزول .

° ° °

في إحدى زوايا القاعة ، جلس فتيان الى مائدة طعام وشراب ، وغير همّ حريز وأبي حريز

في الدنيا همهم .. همهم ألا تكون لهم هموم . وتعالت أنغام عود في يد أحدهم ، ارتفع بعدها صوته يغني :

يـا أهـل أندلس لله درّكـم
مـاء وظـل وأنهـار وأشجـار
والعـلـم اذ طـاب للـورّاد منهـلـه
كانـت لكـم منـه للطـلاب أبحار ..

° ° °

قل لي ، يا أبا عثمان : ما حكايتك والفتيان الثلاثة الغرباء ؟

قالتها أم عثمان بشيء مـن الغضب ، وأبو عثمان يهابها ويتحاشى كل ما من شأنه اغضابها ، قال :

— أي فتيان ، يا امرأة ؟

— نزلاؤنا الأعاجم ، طلاب العلم .. ما حكايتك واياهم ليغادرونا بخيبة ؟

— يغادرونا !.. من قال لك هذا ؟

— هم .. لقد طالبتهم بالمستحق عليهم ، وأبيت أن تمنحهـم مهلة جديـدة ، فهل هذا صحيح ؟

— صحيح وحق ، يا أم عثمان .

— لا ، والله .. ليس حقا أن تحرم فتيانا مثلهم العلم لتستوفي ثمن طعامنا وشرابنا . أرى أن تدبر الأمر معهم بالحسنى ، وكن على يقين من أنني سأتدخل لمصلحتهم ، ان لم تعرف كيف تنصفهم .. اني ماضية لآتيك بهم .

وسمـع من في القاعة شيئا مما دار بينهما ، وقد بدا أبو عثمان وكأن الحيرة تملكته ، فقال له غالب :

— ما الحكاية يا أبا عثمان ؟

— الحكاية هي أن عندنا ثلاثة طلاب علم أعاجم ، ومن زمن لم يؤدوا ما عليهم ، وأم عثمان تأبى أن نطالبهم بما لنا .

— وهل ينكرون هم مالكم ؟

— كلا .. ولكنهم يطلبون المهلة تلو المهلة لأدائه.

وتدخل حريز :

— أما يتلقون مالا من ذويهم ؟

— بلى ، وما يغيظني هو أنهم ينفقون ما يتلقون على شراء الكتب ، ويتركون عبء نفقاتهـم الباقية كلها عليّ .

وعادت أم عثمان بالفتيان الثلاثـة ، فقال غالب :

— أهؤلاء هم ؟

— هم ، يا سيدي غالب .

— خذهم بحلمك ، يا أبا عثمان .

وقال غومس ، والأسى آخذ منه :

— استعرضت ورفيقي الأمر مليا يا أبا عثمان ، فوجدنا أننا عاجزون عن وفاء دينك الآن ، ومن الخير لنا ولك أن نرحل .

— أن ترحلوا ؟

قالها أبو عثمان بتخوّف ، فقال غومس :

— بعد أن نؤدي لك مالك .

— ومن أين تؤدونه ؟

— نبيع كتبنا .

وقال يوحنا متابعا :

— وملابسنا .

وقال همبرتو :

— وأي عمل نعمل لنؤدي الدين بتمامه .

قالت أم عثمان :

— والعلم ، أيها الفتيان .. أتتخلون عنه ، وتعودون الى بلدانكم بدونه ؟

قال همبرتو :

— وما حيلتنا في ذلك ؟

قالت : كلا ، لن نكون نحن من يحرمكم العلم . ستبقون عندنا الى أن يصبح في امكانكم أن تؤدوا ما عليكم .

فغمغم أبو عثمان قائلا :

— ولكن ، يا امرأة ..

وتدخل غالب ، قائلا :

— الحق معها ، يا أبا عثمان . لا يجوز أن يحرم هؤلاء الفتيان العلم لضيق ذات يدهم ، فدعهم يتابعون دروسهم وهم نزلاؤك ، وأنـا كفيلهم لديك .

وثارت النخوة في رأس حريز ، فنظر الى أبي عثمان نظرة المؤاخذ ، وقال له :

— وما دينك عليهم ، يا هذا ؟

أجاب أبو عثمان :

— سبعة وتسعون دينارا .

قال حريز :

— سبعة وتسعون دينارا .. أيسمح سيدي الوالد بأن أنقده اياها ؟

قال أبو حريز :

— بعد رضى الفتيان . وعلينا ، بعد رضاهم أيضا ، نفقاتهم الشهرية ، منذ الآن .

وأطل ابن عبد ربّه .

ووقع بصر يوحنا عليه ، فقال لرفيقه :

— أحد رجال الزورق .

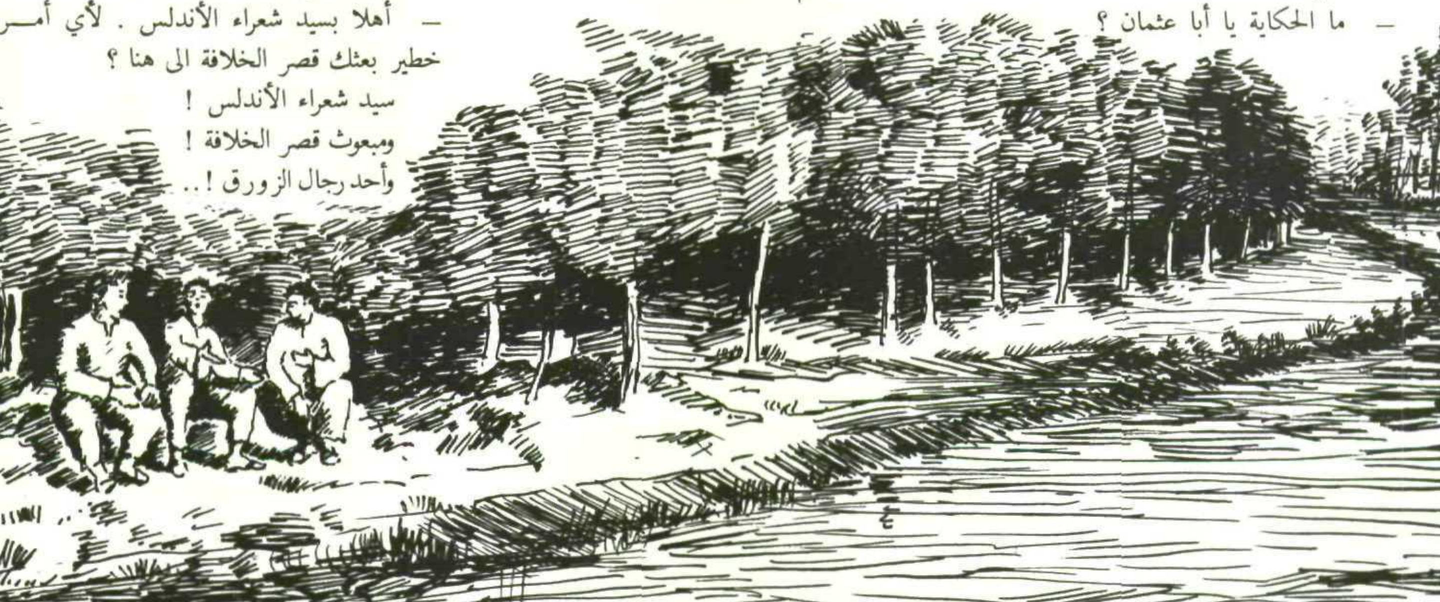
وقال غالب ، وقد رآه بدوره :

— أهلا بسيد شعراء الأندلس . لأي أمـر خطير بعثك قصر الخلافة الى هنا ؟

سيد شعراء الأندلس !

ومبعوث قصر الخلافة !

وأحد رجال الزورق !..





أثار هذا كله دهشة الفتيان الثلاثة وفضولهم ، وعلى أحر من الجمر باتوا ينتظرون جوابه عن سؤال غالب ، وكأن شعورا داخليا جعلهم لا يستبعدون أن يكون للجواب علاقة بهم .

وكان جواب ابن عبد ربّه أن مدّ يده لغالب ، وقال له مباسطا :

— في كل مكان أنت يا غالب حتى لتكاد تكون ملء الأندلس بأدبك وظرفك .

وقال للفتيان الثلاثة :

— آه ، أنتم هنا .. من حسن الحظ هذا ، فقد أتيت خصيصا لأراكم .

وزاد هذا في دهشتهم ، وأثار في الوقت نفسه فضول الحاضرين .. بينما تابع ابن عبد ربّه قائلا :

— أماعرفتموني ؟

قال غومس :

— أحد سادة الزورق أنت .

— نعم أحدهم ، لا أولهم .. أتدرون من كان الأول ؟

— أنّى لنا أن ندري .

— الخليفة .

— وردّد الفتيان الثلاثة معا :

— الخليفة ؟!

قال الشاعر ضاحكاً :

— الخليفة بالذات .. ولم يكن ظلكم ثقيلا عليه ، فنفسه الكبيرة ترتاح الى مجالسة الشباب ، خاصة من كانوا طلاب علم . وقد بعثني لأنظر في حاجاتكم ؟

— في حاجاتنا ؟

غمغم الفتيان الثلاثة .

وقال همبرتو :

— أمد الله في عمر الخليفة .. من نحن ليعيرنا مثل هذا الاهتمام ؟

وقال غومس :

— ما نحن الا غرباء .

وقال يوحنا :

— وكفانا شرفا أن يكون قد تنازل واصطحبنا كرما في احدى نزهاته .

قال الشاعر :

— الشرف شيء حسن .. ولكنه لا يغنيكم عن المال ، فأنتم لا تقضون حاجاتكم به .

ولذا رأى أن يشملكم بعطفه ، ويفرض لكم من ماله الخاص ما يساعدكم على متابعة دروسكم ، وشرطه الوحيد أن تدّخروا من العلم ما استطعتم ، وأن تذكروا الأندلس بالخير متى عدتم الى بلدانكم .

أثّر ذلك بالفتيان الغرباء . ولم يخرج من أفواههم سوى القول :

— أعزّ الله الخليفة .

° ° °

— اياك يا أم عثمان أن تغفلي لحظة ، عن حاجات الفتيان الغرباء الثلاثة ، فهؤلاء هم أولادنا ، وكل شيء طيّب بات لهم .

واذا ذكّرته أم عثمان مرة بما كان من أمره واياهم ، قبل أن يشملهم الخليفة بعطفه ، انتهرها قائلا :

— لا تذكّريني ، لا تذكّريني بجهلي .. لقد كنت والله لا أدري أي مكانة للعلم وطلابه حتى تلقيت عن الخليفة ، وعن السادة الذين غمروا نزلاءنا هؤلاء بما غمروهم من العطف والكرم ، درسا أدركت معه ما كان بعيدا عن ادراكي ■

كبير السماح، دقيق الحساب

للشاعر محمد حسن عواد

اله الورى ، ورفيع الذرى ، وكافي القرى بجليل القرى
ومنشي السحاب ، كعليا القباب ، ومبدي السراب لمن أصحرا

لك المجد ، يا ربنا في الأعالي ، وفوق الرمال ، وتحت البحار
وأنت العظيم ، شديد المجال ، بشقت اللآلي ، خلال المحار

فبارك لنا ، يا عظيم الجلال بفضلك في صبحنا والمساء
وبارك تقدمنا للمآل ، أيا من وسعت الثرى والسماء

تساميت يا مفردا في الصفات ، ويا من تنزه عن مستشار
ويا جامع الناس من «لا رفات» ليوم الجزاء بدار القرار

اله الخليل ، ورب الكليم ، ومبدع آدم ، قبل المسيح
ومنزل قرآنه كالنجوم ، بأروع معجزة للمشيح

حليم ، عظيم ، قدير اليدين ، كبير السماح ، دقيق الحساب
يدير العوالم ، من غير «أين» بهذا الوجود ويوم المآب

لك المجد ، يا رب ! كم أبدعت .. يداك الحياة لهذا الورى !
وكبرى عطاياك كم أسرعت .. فكن معنا يا رفيع الذرى !





* كيف ستؤثر المخترعات العلمية التي يتوقع إنجازها في المستقبل على الطلب على الزيت كمصدر رئيسي للطاقة؟

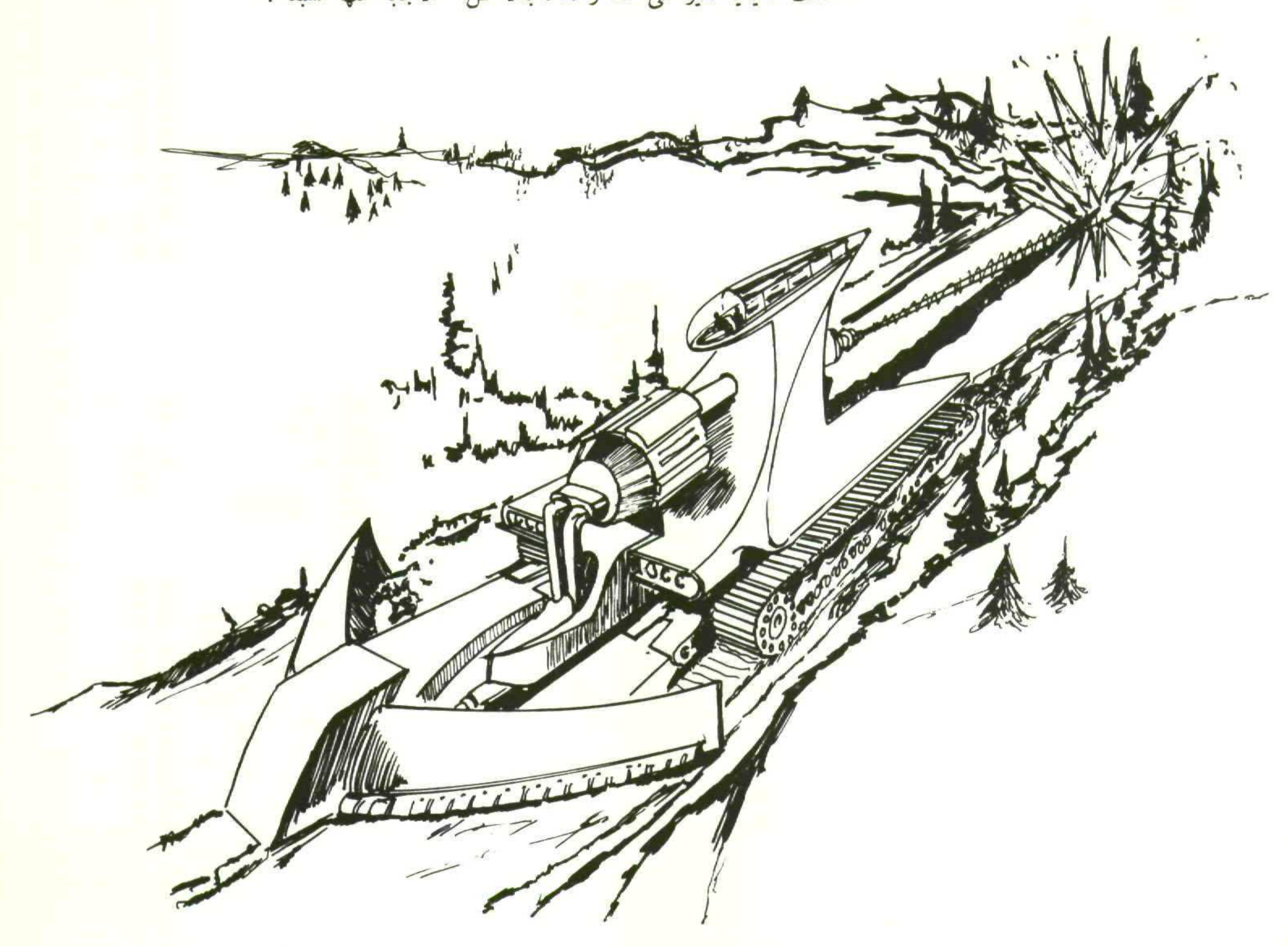
* كيف تحافظ شركات الزيت الكبرى على تصعيد الطاقة الإنتاجية لحقولها وإلى أي مدى نجحت في ذلك؟

* من سيكون فارس الحلبة في ميدان صناعة الزيت في المستقبل المنقب أم الحفار أم السوق ... الخ؟

* هل من جديد يتوقعه العلماء في مجال تطوير معدات استخراج الزيت ومرافق نقله وتصنيعه وتسويقه؟

آلة لتفتيت الصخور، ترتفع عن الأرض على وسادة هوائية مصدرها سبع مراوح، وفي مؤخرتها جهاز يصدر أمواجا ذات ذبذبات عالية ويحيط به أجهزة ستة لتضخيم الأمواج بحيث تفتت الصخور ان سلطت عليها.

يتطلّع القائمون على صناعة الزيت الى المستقبل بترقب وحرص شديدين بالنسبة لمواجهة الطلب المتزايد على الزيت ، اذ ينبغي عليهم أن يحسبوا مسبقا ، ولخمسة وعشرين عاما قادما على الأقل ، ما ستكون عليه الكميات التي يجب تأمينها للاستهلاك العالمي خلال هذه الفترة . ومع حلول عام ١٩٩٠ يتوقع أن يكون في الولايات المتحدة وحدها نحو « ١٥٠ » مليونا من سيارات الركاب ، أي ضعف العدد الحالي . وتثير هذه المسألة عدة تساؤلات لدى المعنيين بصناعة الزيت ، تتعلق بأنواع هذه السيارات ، وأنواع الوقود والمحروقات التي ستستخدمها . ورغم كثرة ما يشاع عن استخدام سكك حديدية تسير على خط واحد ، بدلا من خطين ، وغيرها من وسائل المواصلات التي ما زالت محض تخيلات ، فان السيارة ستحافظ على مركزها كوسيلة مواصلات مريحة ومعقولة مدة طويلة . ويقول أحد المسؤولين لدى شركة كبرى لصنع السيارات في الولايات المتحدة بهذا الصدد : « لا توجد حتى الآن وسيلة للسفر تفضل السيارة من حيث السرعة والراحة والتكلفة ، كما لا توجد دلائل تشير الى قرب ظهور مثل هذه الوسيلة في المستقبل القريب . » ولكن على ضوء ما يتوقع أن تكون عليه أنواع الوقود التي ستستخدمها سيارات الغد ، يتحتم على رجال صناعة الزيت أن يعنوا بتساؤلاتهم السالفة الذكر وأن يحاولوا الاجابة عنها مسبقا .



آلة لمد خطوط الأنابيب تسوي الأرض ، وتحفرها ، وتصنع الأنابيب من اللدائن (البلاستيك) وتضعها في أمكنتها ، ثم تغطيها بالتراب ... وسيكون ذلك خلال عملية واحدة !

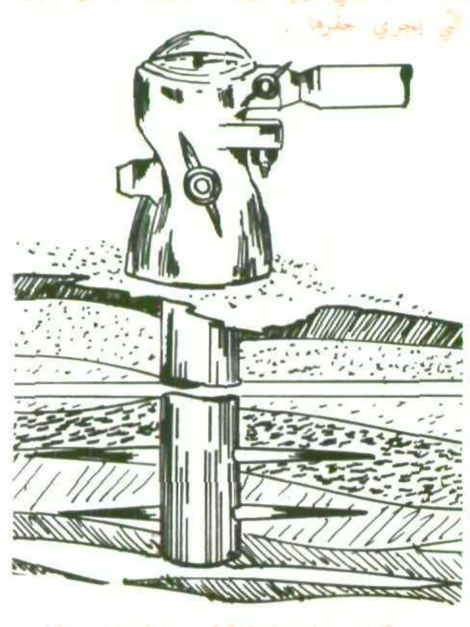
ليس مستقبل السيارة هو الموضوع الوحيد الذي يثير اهتمام المعنيين بصناعة الزيت ، فان دوائر الأبحاث التابعة لمؤسسات هذه الصناعة تهتم حاليا بدراسة التطورات التي يتوقع أن تطرأ على الطائرات العمودية « الهيليكوبتر » ، والطائرات الحوامة « هوفر كرافت » وكذلك على امكانات صناعة الملابس من المركبات الكيماوية ، وبناء ناطحات سحاب من اللدائن ، وامكانات السفر الى الفضاء الخارجي . وهذه أمور ليست مجرد خيال ، فان معظمها قابل للتحقيق ، بل لعل بعضها يتحقق في وقت أقصر مما نعتقد . ولكن الأهم من ذلك ان أمورا كهذه سيكون لها تأثير كبير على استهلاك الطاقة ، وهذا ما يحدو بشركات الزيت الى دراسة العوامل التي يرتكز عليها مستقبل تقدمها وخاصة تزايد عدد السكان واطراد نمو الاقتصاد العالمي .

يتوقع أن يصل عدد سكان العالم عام ١٩٩٠ الى نحو ٧و٥ بليون نسمة أي ضعف عدد السكان الحالي ، كما ورد في دراسة أجرتها مجلة « فورتشن » . وسيكون على هؤلاء أن يعاركوا الظروف باستمرار من أجل رفع مستوى معيشتهم وتحسينه . ومهما يكن عراكهم ذاك ، فانه ولا شك سيكون ذا أثر بليغ على الاقتصاد العالمي ، لأن ما ينشده الانسان عرضة للتغيير في كل وقت في حين أن ما يحتاجه من أمور أساسية ثابت لا يتغير . فأول ما يحتاج اليه الفرد هو الطعام ، واذا ما توفر لديه أخذ يسعى وراء الكماليات . وكلما كثر الأفراد الذين يسعون وراء الكماليات كلما تأثر اقتصاد البلد الذي ينتمون اليه ، فتظهر صناعات جديدة ، وتنشط حركة النقل والمواصلات وتتوسع التجارة وتتوفر فرص العمل ، ويزداد الطلب على المنتجات الجديدة . وكل ذلك سيعتمد بشكل أو بآخر على مصادر الطاقة اعتمادا كليا .

والمؤسسات الصناعية لا تضع في حسابها أمر ارتفاع عدد سكان العالم الى الضعف فحسب ، وانما تحاول أن تدرك مسبقا نوع المتطلبات التي سيحتاج اليها هؤلاء السكان آنذاك . فمثلا هل ستحل اللدائن محل الصلب والخشب ؟ وهل ستحل الطائرات العمودية الصغيرة محل السيارات ؟ وهل سيكون في مقدور انسان الغد أن يجرّ ما يشبه البيت المتنقل الى الشاطيء ، حيث يقضي عطلة آخر الأسبوع .. الى غير ذلك من متطلبات .

وعلى ضوء مثل هذه الأمور يرى الخبراء الاقتصاديون أن متطلبات العالم من الطاقة ستكون ضخمة جدا . وفي هذا يقول أحد رواد صناعة الزيت : كانت متطلبات العالم الحر من الزيت عام ١٩٥٠ ٢٨٫٥ مليون برميل يوميا ، ثم وصلت عام ١٩٦٠ الى نحو ٥٣٫٥ مليون يوميا ، وان الطلب على الزيت آخذ بالازدياد بمعدل مليوني برميل يوميا كل سنة حتى عام ١٩٧٠ » . وقال أحد المسؤولين في شركة كبرى للزيت : « انه بحلول ١٩٩٠ سيحتاج العالم الى ثلاثة أضعاف ما يستهلكه من الزيت والغاز حاليا ، وسيكون عدد البراميل التي ستستهلك يوميا آنذاك نحو ١٠٠ مليون . » وقال سكرتير عام « منظمة البلدان المصدرة للبترول » (أوبك) في تقرير نشر في فبراير ١٩٦٧ : « ان نصيب البترول كمصدر للطاقة قد ارتفع من ٣٤ في المائة الى ٤١ في المائة من مجموع مستهلكات العالم الحر من مصادر الطاقة خلال الفترة الواقعة بين ١٩٦٠ و ١٩٦٦ . » وأضاف قائلا : « ان عام ١٩٦٦ هو العام الذي حل فيه الزيت محل الفحم كأهم مصدر للطاقة يستخدمه الانسان . » وليس في وسع خبراء الاقتصاد أن يحددوا منذ الآن

احدى معدات تثبيت أنابيب الحفر في قيعان المحيطات وهي مزودة بجهاز يتيح مراقبة عملية الحفر بواسطة آلات تصوير تلفزيونية . وسيستخدم مجال مغناطيسي قوي لتوجيه الأنابيب الى فوهة البئر التي يجري حفرها .



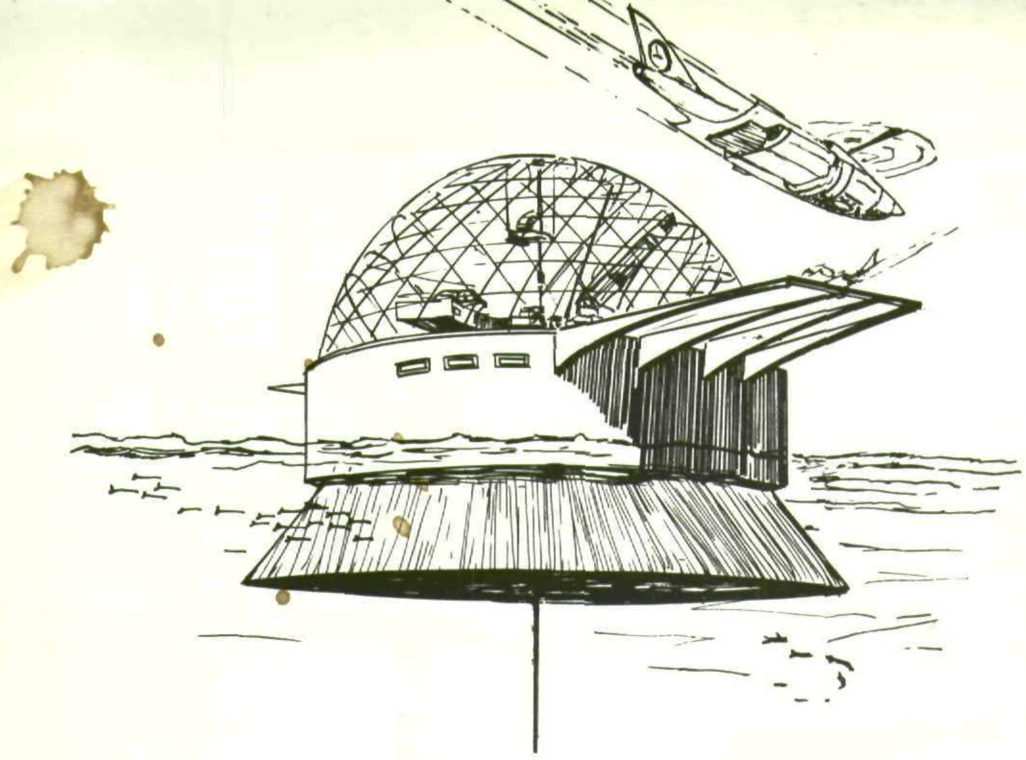
ستكون معدات فوهة البئر خلال القرن القادم أصغر مما هي عليه الآن وأقل تعقيدا ، وستضم جميع العدادات التي تحدد كميات الزيت المتدفقة من البئر لفترة معينة .

نسبة الطاقة التي سيسهم فيها كل من الزيت أو الطاقة المائية أو أشعة الشمس ، ولكن استنادا لاعتبارات وظروف أخرى ، كنمو الصناعة البتروكيماوية وتطورها مثلا ، قدر الخبراء في دراسة أجروها سنة ١٩٦٥ أن صناعة الزيت ستمد العالم بنحو ٤٨٠ بليون برميل خلال ربع القرن القادم . وهذا ما يضاهي ثلاثة أضعاف ما استهلكه العالم من الزيت خلال الفترة الممتدة من ١٨٥٩م وهو العام الذي تم فيه اكتشاف الزيت حتى عام ١٩٦٥م .

وإذا ما اعتبر ذلك كله ، فان زيت الشرق الأوسط سيكون على درجة كبيرة من الأهمية ، لأنه يضم أكبر احتياطي للزيت في العالم ، ولأن ذلك الاحتياطي يمثل نحو ٧٠ في المائة من احتياطي العالم الحر بأجمعه . ورغم تزايد الطاقة على الانتاج بصورة مستمرة فان هذا الاحتياطي يتزايد في نمو مطرد . ويتوقع الأخصائيون الاقتصاديون أن يصل انتاج الشرق الأوسط من الزيت الخام عام ١٩٩٠ الى حوالي ٣٣ مليون برميل يوميا .

ان انتاج الزيت بهذه الكميات الهائلة يقتضي بذل جهود ضخمة ، ومصاريف باهظة . ويقول أحد المسؤولين أن صناعة الزيت في الشرق الأوسط ستنفق على مرافق الانتاج ما يعادل ٦٣ بليون ريال سعودي (١٤ بليون دولار) حتى عام ١٩٩٠ . ولأن الشرق الأوسط ينتج ما يزيد على نصف ما تستهلكه أسواق العالم الحر فان شركات الزيت ستنفق ما يعادل ٤٢٧,٥ بليون ريال سعودي (٩٥ بليون دولار) أخرى على بناء الناقلات الضخمة ، وخطوط الأنابيب ، وغير ذلك من المرافق والمنشآت الضرورية لتصنيع الزيت ونقله .

كانت صناعة الزيت تعتبر في الماضي من الصناعات التي تمول نفسها بنفسها الى حد ما ، اذ أن الجزء الأكبر من رؤوس الأموال التي تستثمرها هذه الصناعة كانت تحصل عليها من عائداتها ، ولكن الأمر اليوم اختلف عن ذي قبل . فرأس المال المستثمر اللازم لانتاج برميل واحد من الزيت كان يبلغ قبل نحو خمس سنوات ما يعادل ١٥٠٠ ريال (٣٥٠ دولارا) بما في ذلك التنقيب ، والاستخراج ، والنقل الى معمل التكرير أو فرضة الشحن ، بينما يلزم لإنتاجه اليوم ضعف هذا المبلغ . غير أن بعض رواد هذه الصناعة يعتقدون بأن مثل هذه الصعوبات قد تزول باتساع حجم تجارة الزيت ،



مركب للحفر في المناطق المغمورة مزود بقبة من اللدائن (البلاستيك) وقاعدة تمتد تحت سطح الماء بغية تثبيت المركب ، تحوي معملا لتركيز الزيت . وتبدو فوق المركب في الرسم ، طائرة عمودية نفاثة ، يتخيل العلماء انها ستكون وسيلة نقل المعدات والرجال الى المركب ومنه خلال القرن القادم .

يؤمل العلماء أنه سيغدو بالامكان خزن الزيت في خزانات تحفر بباطن الأرض بواسطة التفجيرات النووية.

وتطوير أساليب الانتاج . وقد تبنت شركة الزيت العربية الأمريكية (ارامكو) تطوير أساليب الانتاج في هذا الجزء من العالم، فاستعملت آلات حاسبة ألكترونية في مجال المسح والتنقيب واجراء الدراسات الجيوفيزيائية ، ساعدت مهندسي البترول في تحليل المعلومات عن طبقات الصخور الجوفية بشكل أكثر دقة وأسرع انجازا . كما استخدمت أسلوب جمع المعلومات السيزموغرافية لتحليلها على الآلات الحاسبة الألكترونية ، وكان ذلك عام ١٩٥٦م . بيد أن المعلومات كانت ترسل الى الولايات المتحدة حينئذ لتحليلها . وفي عام ١٩٦٤ ، ابتدأت بجمع المعلومات السيزموغرافية بطريقة « الخانات الرقمية » التي يمكن تحليلها على الآلات الحاسبة الألكترونية محليا ، فتبين أن هذه الطريقة أكثر فعالية من الطريقة السالفة الذكر لا سيما عند اجراء أعمال قياس الاهتزازات الأرضية في أماكن أغور عمقا . وبدلا من ارسال أشرطة الى خارج المملكة العربية السعودية لتحليلها، أسست أرامكو مركزا لهذه الغاية في الظهران بغية السرعة في الانجاز .

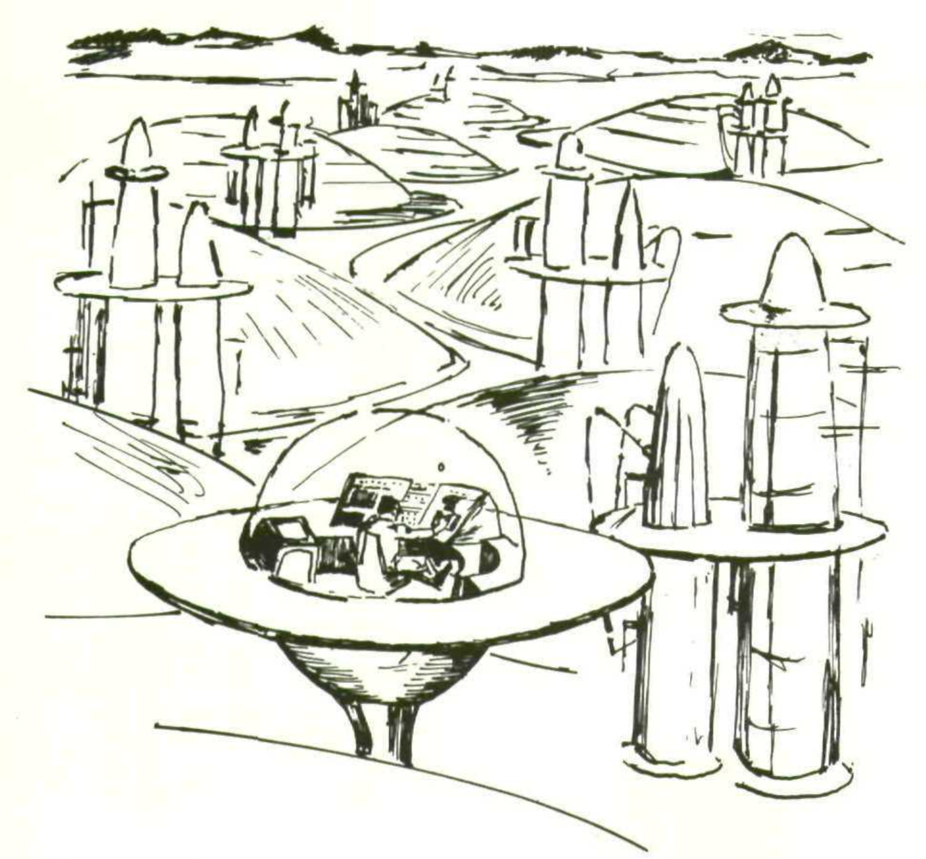
وعلى الرغم من تقدم أساليب التنقيب وتطورها ، يظل الحفر هو الوسيلة الوحيدة للتأكد من وجود الزيت أو عدمه . وحفر الآبار عملية باهظة التكاليف ، اذ تقدر تكاليف أعمال الحفر في منطقة الشرق الأوسط بنحو نصف اجمالي نفقات صناعة الزيت فيه . فالبئر الواحدة ، منتجة كانت أو غير منتجة ، تتراوح تكاليف حفرها ما بين ١٣٥٠٠٠٠ و ٢٢٥٠٠٠٠ ريال سعودي (٣٠٠٠٠٠ و ٥٠٠٠٠٠ دولار) ، وذلك حسب تقرير أورده بنك « شيس منهاتن » . هذا على الرغم من أن نفقات الحفر في منطقة الشرق الأوسط قد انخفضت بمعدل ٣٠ في المائة عما كانت عليه قبل عشر سنوات ، وذلك بفضل تطبيق الشركات لأحدث الأساليب الفنية العلمية في هذا المجال .

ومن الجدير بالذكر أن طاقة البئر الانتاجية تدخل في نطاق حساب تكاليف الحفر أيضا وتعتبر آبار الزيت المنتجة في الشرق الأوسط أفضل آبار للزيت في العالم من هذه الناحية ، اذ يبلغ معدل انتاج البئر الواحدة ٤٣٠٠ برميل يوميا في حين يبلغ معدل انتاج البئر الواحدة في الولايات المتحدة الأمريكية ١٤ برميلا في اليوم . وفي الوقت نفسه فان معدل تكاليف الحفر في الشرق الأوسط أقل منه في الولايات المتحدة الأمريكية .

هذا ، وكان الحفار في فجر صناعة الزيت فارس الميدان بلا منازع ، لكن بعد أن تزايد الطلب على منتجات الزيت ومشتقاته أصبح المنقب هو فارس الميدان ، وفي هذه الأيام فان المسوق هو فارس الحلبة . ويتوقع في المستقبل ، كما جاء في إحدى الصحف التي تعنى بهذه الصناعة أن يكون مستخرجو بقايا الزيت من الآبار القديمة هم المجلّون في هذا المضمار ، لأنه ينتظر أن يحتاج العالم الى كل قطرة زيت مما تحويه المكامن الطبقية في باطنها .



ستستخدم لمراقبة تدفق الزيت آلات حاسبة ألكترونية ، تزود بالمعلومات من محطات أوتوماتيكية لإرسال النشرات الجوية . وتمثل لوحتا المراقبة اللتان تواجهان مشغل الآلة صورا تلفزيونية للوحات المراقبة الكائنة في معامل التكرير القريبة . أما الأجهزة الصغيرة التي تبدو في مؤخرة الرسم فانها تستخدم لمراقبة أعمال مرافق التكرير النائية .

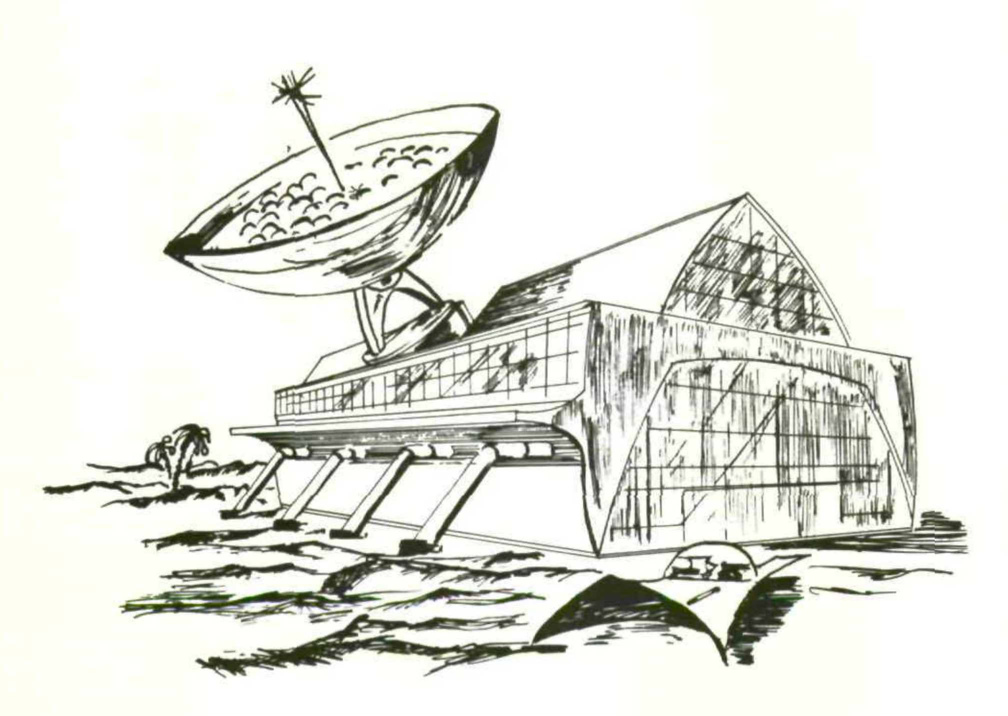


ستكون مرافق تصنيع الزيت في المستقبل مجمعة بحيث يتم تشغيلها ومراقبتها بواسطة آلة حاسبة ألكترونية واحدة .

لقد تقدمت وسائل استخراج بقايا الزيت من الآبار الناضبة تقدما ملحوظا رغم حداثتها عمليا ، وقد استطاع مهندسو البترول خلال العشر سنوات الماضية أن يوجدوا أساليب عملية كثيرة مكنتهم من معرفة فعالية مختلف أساليب استخراج هذه البقايا من الزيت . كما استطاعوا في الوقت نفسه أن يصمموا نماذج مختلفة تمثل آبارا قبل انتاجها لإجراء تجارب عليها للغاية نفسها.

ويتوقع بعض العلماء ومهندسي البترول أن يصار ، خلال قرن واحد من الآن ، الى استخدام أساليب فنية حديثة في مختلف مجالات صناعة الزيت ، والى تصميم معدات وأجهزة يكون من شأنها تطوير عمليات الحفر ، ومد خطوط الأنابيب ، والتركيز ، والفرز في المناطق المغمورة وغير المغمورة على حد سواء . بالاضافة الى استخدام الآلات الحاسبة الألكترونية وغيرها من الأجهزة الألكترونية الدقيقة في مختلف نواحي هذه الصناعة . وقد تخيل بعض العلماء ما ستكون عليه أشكال هذه الأجهزة والمعدات ومواصفاتها بل وانجازاتها أيضا منذ اليوم.

ومهما تكن التحسينات الانتاجية الاقتصادية التي تجرى على وسائل التنقيب والحفر والمحافظة على الضغط في المكامن فانه ينبغي على شركات الزيت نقل الزيت المستخرج من الآبار الى معامل التكرير والفرض البحرية ، لتحمله الناقلات الى أسواق العالم الحر . ومع ازدياد الطلب على الزيت وازدياد انتاجه ترتفع تكاليف نقله ، وقد بلغت هذه التكاليف عام ١٩٦٦ في الشرق الأوسط وحده حوالي ٤,٥ بليون ريال سعودي (بليون دولار) ، غير أن خطوط الأنابيب قد تطورت كثيرا في المنطقة المذكورة من حيث أقطارها وأطوالها . ولعل خط أنابيب السفانية – رأس تنورة الذي يبلغ قطره حوالي ١٠٥ سنتمترات ، وطوله ٢٠٨ كيلومترات ، خير مثال على هذا التطور الملحوظ في مد خطوط الأنابيب في الشرق الأوسط .



يؤمل العلماء استخدام أشعة الشمس كمصدر من مصادر الطاقة لتشغيل محطات الضخ .

وبعد ، فهذه مجرد أمثلة على ما تستطيع شركات الزيت أن تفعله في منطقة منتجة كمنطقة الشرق الأوسط . وهناك العديد من الأمور المهمة كضخ الزيت وعمليات الشحن والتحميل في الفرضات والصيانة وغيرها ، تسعى شركات الزيت العاملة في هذه المنطقة الى تحسينها مستعينة في ذلك بالتطوير العلمي ، والتقني ، بغية تخفيض تكاليف الانتاج في سبيل مواجهة التحديات التي يتوقع أن تجابهها هذه الصناعة في المستقبل ■





ابن خفاجة
شَاعِرُ الطَّبيعَةِ الأنْدَلُسِيُّ

بقلم الدكتور محمد حاج حسين

يبدو أن شعر الطبيعة في عصرنا بـدأ يضحى ظله ، ويخفت صوته ، ولن يلبث طويلا حتى يبقى مجرد ذكرى تخفق لدى الشعراء القدامى الذين وجدوا في الطبيعة أما حنونا ينكصون اليها ويلتصقون بها . ففي أوربا وأميركا طلق الشعر الطبيعة ، وانحاز الى الانسان يحاول أن يفهمه ، ويرصد حركاته وسكناته متطلعا الى حياة أفضل . والواقع أن الدوافع التي كانت تهيب بالشعراء الأقدمين الى وصف الطبيعة قد ضعفت في عصرنا ، فالناس في هذه الأيام يقضون عطلاتهم في الريف ، والاتصال بالطبيعة ميسور بسبب سهولة المواصلات ، بخـلاف الماضي . وهذا الشاعر الأميركي الكبير «فورستر» نظم كثيرا من قصائده في وصف الطبيعة والتغني بها ، غير أنه صرح ذات مرة ان كل ما قاله في الطبيعة لا يعدو قصيدتين ، أما الباقي فهو من الشعر الرمزي الذي يرمز به الى أمور أخرى متخذا الطبيعة تكأة له .

وابن خفاجة هو شاعر الطبيعة الأندلسية . سكب جل شعره على هذه الطبيعة السخية الفياضة بالجمال ، وقد راعته بخوالبها كما راعت الكثير من الشعراء فانحازوا اليها يريقون عليها عواطفهم شعرا نابضا بالحياة والقوة .

وابن خفاجة من شعراء القرن الخامس ، وأوائل السادس الهجريين . ولد في جزيرة شقر ، ونشأ نشأة علمية ممتازة ، وثقف ثقافة لغويـة مستفيضة أفادته في اختيار التعابير الحية التي تلائم شعره . ولقد ورث ثروة من أبيه نعم بها ، فكان له من دعة العيش حافز قوي للشعر . وأحب

الأسفار ، بيد أنه كان في كل سفرة يتلهف بنغمات حزينة على وطنه الذي فارقه . وامتد به العمر حتى برم بالثمانين التي أوقرته بالشيخوخة .

وشعره سجل لحياته فيه مختلف الأحاسيس التي تعاورته ، وتصوير رائع لأشواقه للطبيعة حتى أطلق عليه الأندلسيون لقب « الجنان » لتغلغل الطبيعة في جميع ألوان شعره ، فهو شاعرها غير مدافع ، لأنها الدعامة الأولى التي ارتكز عليها شعره .. أحبها وهام بها ، فألهمته هذا الوصف البديع الذي تفنن فيه . وأكثر من توليداته وابتكاراته ، فكان اذا ما طرق معنى شائعا راح يوشيه وينميه حتى يتفرع الى معان عديدة يزحم بعضها بعضا حتى ليغيب المعنى القديم في الجواء الريقة ، التي نشرها بحذاقة ، فالمعاني تنقاد له فتيقة مزدحمة في تنسيق بديع .

غير انه كان يتعثر أحيانا بتعبيراته ، فتند عنه الألفاظ التي تتسق مع المعنى، فتبدو معانيه ملتوية يكتنفها الغموض . ونراه في بعض الأحيان يذهب الى المعنى مباشرة ، فلا يوفق بايجاد اللفظ الذي يلائمه . ويحدثنا ابن خلدون أن بعض شيوخه كانوا يعيبون شعر شاعر شرقي الأندلس ابن خفاجة لكثرة معانيه وازدحامها في البيت الواحد .

لقد كان ابن خفاجة يتصنع معانيه ، فتجور على اللفظ ، حتى تبدو أحيانا سقيمة ، لذلك جاء بعض شعره نابيا يظهر فيه التكلف الذي ركبه الشاعر . ولعل لعصر ابن خفاجة ، الذي اعتمد على الزخارف البديعية والزركشات البيانية ، أكبر الأثر في هذا الاتجاه الذي أسقم بعض شعره . أما اذا أرسل نفسه على سجيتها ، جاء بشعر رقيق حالم كأنسام الأندلس العذاب ، وتشابيه لينة كجو الأندلس الناعم الوثير ، فيسهل لفظه ، وتدمث تعابيره وتسلس له العاطفة .

وتهدر الطبيعة في شعر ابن خفاجة ، وقد أقحمها في مختلف ألوان شعره ، حتى في المديح والرثاء ، فهي لا تفارقه البتة ، لأنها مصب الهامه . فاذا رثى الوزير أبا محمد عبد الله ابن ربيعة لم تفته أشكال الطبيعة ، فالروض ، وجدول الماء ، والغصن الندي ، ورنة المكاء .. كل هذه تزحم مخيلته. ولم نر لهذه الظاهرة سابقة في الشعر العربي مما يدلنا على أن الشاعر الأندلسي يحيا مع الطبيعة ، لتنبض في جميع ألوان شعره متفننا بابراز الصور الفنية لها . يقول :

في كل نـاد منك روض ثنـاء
وبكل خدّ منك جدول مـاء
ولكل شخص هـزة الغصن الندي
غـب المساء ورنـة المكّـاء

أهذه نغمة رثاء وتفجع ، أم مشهد للطبيعة يتدفق فيه الجدول ، ويهتز الغصن ، ويصدح المكاء ؟ وهذه الأبيات :

ألا ليت لمـح البارق المتألـق
يلـف ذيـول العارض المتدفـق
ويركب من ريح الصبا متن سابح
كريم ومن ليل السرى ظهر أبلـق
فيهدي الى قـبر بحمص تحيـة
متى تحتملهـا راحة الريح تعبق

فهذه أبيات من قصيدة رثاء مزجها ابن خفاجة بمشاهد الطبيعة ، وأبدع في وصف البرق عندما لفه المطر ، فكان التشبيه حلوا منسجما ، ينم عن رقة احساس ابن خفاجة بالطبيعة .

واذا مدح شاعرنا ، فلا ينسى الطبيعة ، وكثيرا ما يشبه ممدوحه بالربيع الذي يشرق على الجديب الماحل ، فيبعثه حيا . والابتسامة التي ترسم على ثغره هي ومضة برق أشاعت فيه الطلاقة والبشر . وهكذا نراه يمزج مديحه بألوان الطبيعة ، ليونق لوحات جميلة يوشي بها ممدوحه . يقول :

مليك تباهى الحمد وشيا مذهبـا
بـه وتراءى المجد تاجـا مرصعا
غشيت به أندى من المزن راحـة
وأطيـب أفيـاء وأسرع مربعـا
وحياك مـن فرع لأشرف دوحـة
نسيم كأنفاس العذارى تضوعـا

فابن خفاجة لا يدانيه شاعر في اقحام الطبيعة في شعره ، وادماجها في ثنايا أغراضه ، حتى لنشعر انها ممتزجة بها تريق عليها جمالا فنيا أخاذا . فتشبيهه النسيم المتضوع بأنفاس العذارى ينم عن ذهنية حالمة وشعور متفتح لهذا الجمال الذي يسمو بالانسان ويرقق مشاعره .

وأبلغ لوحاته الطبيعية هي تلك التي يصف فيها مشاهد الطبيعة الجليلـة ، ويفرغ عليها حلله الشعرية المجنحة . فاذا ما وصف جبلا يغلو في وصفه ، حتى يجعله يطاول الشهب ، ثم يصفه بالوقار والرسوخ على ظهر الفلاة ويشبه السحاب على ذروته بعمامة زانها البرق :

وقـور عـلى ظهر الفلاة كأنـه
طوال الليـالي مفكـر في العواقب

يلوث عليه الغيم سود عمائم
لها من وميض البرق أحمر ذائب

وهكذا شخص الجماد حتى أحال الجبل الى مفكر في العواقب . وانها لدقة نادرة تتطلب شاعرية متفتحة .

واذا ما تغزّل رأينا محبوبته كحديقة حالية من الزهر ، فالحبيبة والطبيعة عنده في امتزاج عجيب ، ففرعها يميد نضارة ، وأطرافها كالعناب ، وفي وجنتيها فتق الشباب وردة ، ونحرها قلادة وسط الظلام .. ومما لا شك فيه أن هذه الزحمة من التشابيه لا تكسب شعره الجدة الفنية التي تسمو بالغزل . يقول :

بيضاء فاض الحسن ماء فوقها
وطفا به الدر النفيس حبابا
فتق الشباب بوجنتيها وردة
في فرع أسحلة يميد شبابا
وضحت سوالف جيدها سوسانة
وتودت أطرافها عنابا

فكأن هذه المحبوبة مركبة من ضروب الأزهار والرياحين .. وقد ندّد الجاحظ بأمثال هذه التشابيه ، فعجب من الشعراء الذين يشبهون الجارية الجميلة بالظبية ، وهم يعلمون انها أروع منها وأجمل .

ويهيمن الوصف كما وضح لنا على جميع فنونه الشعرية ، وأوصافه متنوعة وأروعها ما يتحدث فيه عن ذكرياته الغابرة في مجالس الأندلس ، أمام فتنة الطبيعة ، فيتفنن في سرد الأوصاف وتوشيتها ، ويصف أحيانا الوحوش ، والكلاب ، والذئاب ، فهي بليغة الاداء ، ولكن لا تبرق فيها قوة الشخصية ، ولا تلك الروعة التي نحسها عندما نقرأ وصف الذئب للبحتري ، أو وصف الأسد للمتنبي . وابن خفاجة لم يصل الى مستوى الابداع الفني الذي وثب اليه هذان الشاعران ، فأوصافه محدودة تخطر على كل ذهن ، بيد أنه يسكب عليها من ألفاظه السمحة ، واستعاراته الفنية ما يكسبها الطلاوة والسلاسة .

قال في وصف ذئب أمضه الجوع حاول مهاجمته ، ولكن الخوف عقله وصده :

وأطلس زوار مع الليل أغبش
سرى خلف أستار الدجى يتنكر
تثاءب من مس الطوى فهو يشتكي
فيعوي وقد لفته نكباء صرصر
ودون أمانيه شرارة لهذم
يقلب فيها مثلها حين ينظر

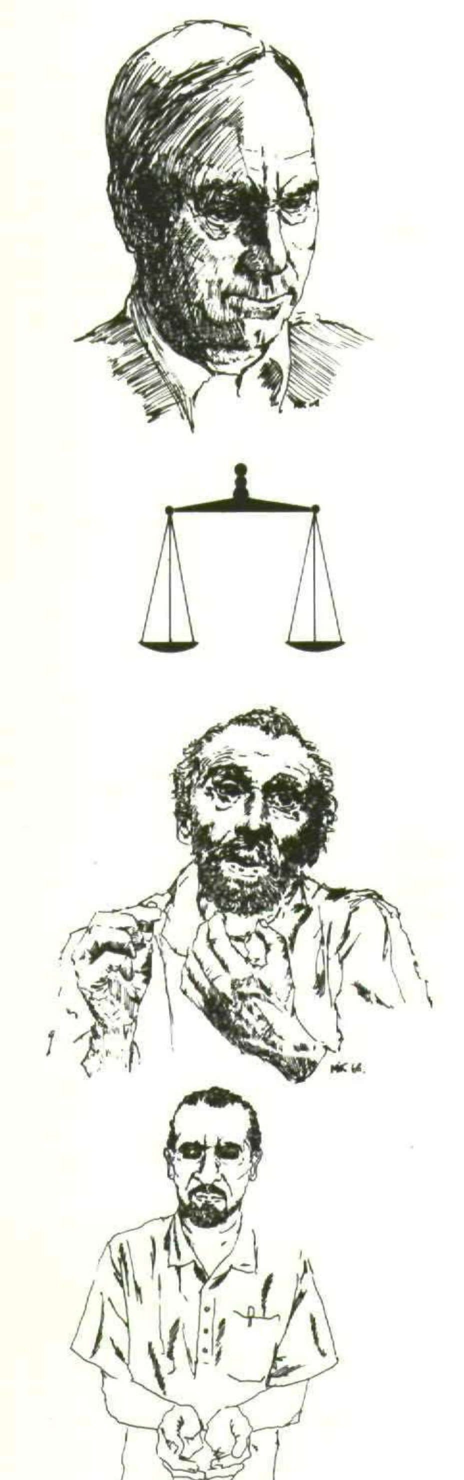
ولعلّ أروع أوصافه تلك التي عقدها في المجالس المفراحة الممراحة التي كانت تنتظم على ضفاف الأنهار ، يصفق له الماء السلسل ، وتحنو عليه الطبيعة بأدواحها الرخية التي تمور بالأفياء والاظلال .. فيشدو بها ، ملونا قصائده بلوحات بديعة موشاة بالأزهار ، ويترعها بالتشابيه البديعة . فقد كان ابن خفاجة معجبا بالطريقة الشامية ، التي يقول عنها الثعالبي في كتابه يتيمة الدهر : « ما فتق ذهني ، وشحذ قريحتي ، مثل هذه اللطائف الشامية ، والنغمات الحلبية . وهذه الطريقة تقوم على تثقيف الشعر وتهذيبه ، وتوشيته بالألفاظ المؤنقة ، والتشابيه الحية الجميلة . » فالشعر الشامي كما يبدو في ما نظمه البحتري ، أحد كبار ممثليه : غناء عذب يرقص في فم المغنين بألفاظه الموسيقية وديباجته الملوّنة . وابن خفاجة يترسم هذه الطريقة ، بأن يأتي بديباجة رقيقة تترقرق فيها التعابير .

لقد أطلق الأندلسيون على ابن خفاجة صنوبري الغرب ، والصنوبري شاعر الطبيعة في المشرق ، أفرغ عليها رائع شعره حتى امتزجت به كما امتزج بها ، فقد كان من عادة الأندلسيين أن يطلقوا على بعض الشعراء الذين ينبغون لديهم أسماء شعراء المشرق ، تنفيسا عن هذا الحنين اللاعج الذي أحسوه نحو موطنهم الأول .

لقد ساير ابن خفاجة نزعات عصره ، التي اعتمدت على ألوان البيان والبديع ، حتى غدت هذه المحسنات أساس كل نظم ، وهدف كل شاعر . وقد غرق ابن خفاجة في هذا الطوفان من الطباق والجناس والاستعارات ، ولولاها لأتى بشعر رائع .. فقد توفرت له عناصر الشاعرية الطلقة البعيدة المدى ، لا سيما في وصف الطبيعة ، كقوله في وصف أراكة :

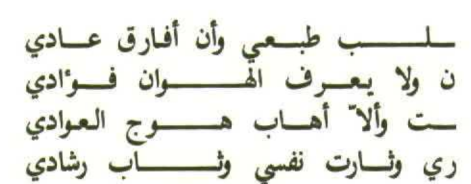
حفت بدوحتها مجرة جدول
نثرت عليه نجومها الأزهار
فكأنها ، وكأن جدول مائها
حسناء شُدَّ بخصرها زنار
في روضة جنح الدجى ظل لها
وتجسمت نورا بها الأنوار
غناء ينشر وشيه البزاز لي
فيه ويفتق مسكه العطار
قام الغناء بها وقد نضح الندى
وجه الثرى واستيقظ النوار
والماء في جلى الحياء مقلد
زرت عليه جيوبها الأشجار

علّمتني الحياة



للشاعر أنور العطار

الإرادة



علّمتني أنّ الإرادة أن أغـ ... ـلب طبعي وأن أفارق عادي
وأصون الفؤاد من عنت الهو ... ن ولا يعرف الهوان فؤادي
علّمتني أن أحزم الأمر ما عشـ ... ـت وألاّ أهاب هوج العوادي
مردت مهجتي على الوهن المز ... ري وثارت نفسي وثاب رشادي

النزاهة

علّمتني أنّ النّزاهة أن أعـ ... ـرض عن كلّ ما يصمّ ويعمي
وأصون النفس اللّجوج عن الاثـ ... ـم فلا تحفل الغداة بإثم
علّمتني أن أنصّر الحق ما عشـ ... ـت وألاّ يصول بالبطل خصمي
علّمتني أن تسمو النفس بالعد ... ل وتنأى عن كلّ حيف وظلم

الضمير

علّمتني أنّ الضّمير هو الوا ... زع ينهى عن القبيح ويرعى
فاذا ما أسأت أمعن في اللّو ... م وهزّ الفؤاد زجرا وردعا
واذا أحسن الفتى كافأ المحـ ... ـسن دهرا وصاح أحسنت صنعا
هو عين في النّفس تهدي خطا النّفـ ... ـس وتحمي من ضلّ في العيش مسعى

الدعاء

علّمتني أنّ الدّعاء هو، الحصـ ... ـن الى ظلّه يجدّ السّاري
في تلافيفه تلذّ المناجا ... ة وتصفو في هدأة الأسحار
لا يردّ الدّعاء في ظاهر الغيـ ... ـب وشحط النّوى وبعد المزار
فاسأل الله وحده يعطك الخيـ ... ـر وتبلغ نهاية الأوطار

فن الترجمة في الأدب العربي

تأليف الأستاذ : محمد عبد الغني حسن
عرض وتعليق : أبو طالب زيان



بحسب الأستاذ الشاعر محمد عبد الغني حسن ، أن يحمل عبء البحث ووضع اللبنة في فن الترجمة الذي لم يتناوله باحث ، على كثرة ما عولجت به فنون أخرى أدبية أو قولية — كما قال هو في مقدمة هذا الكتاب .

ولعل السر الذي جعل هذا الفن عرضة للاهمال أو الترك ، هو ما وقع فيه المؤلف نفسه حين أرخ لهذا الفن أو تناوله كمادة من مواد الأدب . فقد ضرب صفحا عن الترجمة كفن قبل العصر العباسي الذي ازدهرت فيه الترجمة ، وانتعشت فيه كنبع من منابع الثراء ، ومنهل من مناهل الري . وان كان الأستاذ الباحث ، قد أشار الى بعض الذين تنبهوا الى شأن الترجمة ، وذكر أسماءهم كرواد أو فرسان تاهوا في هذه الحلبة ، وتقاعس ركبهم قبل أن يبلغوا الشوط ، أو يجتازوا المدى الطويل !

ومن أعجب العجب — كما ذكر الأستاذ محمد عبد الغني حسن — أن نقرأ لحنين بن اسحاق ، وقسطا بن لوقا ، وابن ماسويه ، وابن البطريق ، وابن نوبخت ، وابن المقفع ، دون أن ندرك اتجاههم في الترجمة ، ومذهبهم في النقل ، وغرضهم الذي عانوا في سبيله ، وماتوا وهم يريدون أن يكون صنيعا يحمد ، وعملا يشار اليه ..!!

والواقع ، أن غرام الأستاذ محمد عبد الغني حسن بالترجمة ، يرجع الى مشاركته الفعلية بكتاب ألفته الدكتورة نابية عبود عن : « المرأة والدولة في فجر الاسلام » ، ونقله المؤلف الى العربية ونشر عام ثلاثة وأربعين وتسعمائة بعد الألف .

ولقد عانى المؤلف من الصعوبة في هذه الترجمة ، ما جعله يضع في ذهنه تفصيل هذا الأمر ، وتفنيد هذا العمل الشاق . فعلى الرغم

من حركة النقل والتعريب في العصر العباسي الأول ، وعلى الرغم من ظهور حركة جديدة للترجمة في أوائل القرن التاسع عشر ، فانه لم يصل الى علمنا كتاب عربي واحد كتب في فن الترجمة وطرائقها ، وأصولها وقواعدها ، وعيوبها ومحاسنها ، ومزالقها ، وشرائطها ، وطرائف النقلة والمترجمين ، والترجمة اللفظية ، والترجمة بالمعنى ، والتصرف في الترجمة ، وترجمة الشعر ، وتعدد الترجمات للأثر الأدبي أو الفكري الواحد ، وترجمة الألفاظ وتعريبها ، غير ذلك النقاش الذي كان يدور بين أنصار التعريب ، وأنصار الترجمة وما كتبه الجاحظ في القديم ، وما جعله الصفدي ، ميزان قوله في القرن الثامن الهجري ، وما دونه الأستاذان وديع فلسطين ورضوان ابراهيم ، والمرحوم الدكتور يعقوب صروف والأستاذان عباس محمود العقاد ، وأحمد حسن الزيات .

قد عقد الأستاذ الباحث فصلا كبيرا في مذهب الترجمة بين الدكتور صروف والزيات ، جمع فيه أركان الترجمة التي اعتمد عليها يعقوب صروف وكانت ركيزة عمله ، وهي : المعاني على سبيل الحقيقة المألوفة ، والمعاني على سبيل الحقيقة غير المألوفة ، والمعاني على سبيل المجاز المألوف ، والمعاني على سبيل المجاز غير المألوف . أما الأستاذ الزيات ، فكان يتكىء في ترجمته على مذهب الصلاح الصفدي ، أي نقل النص الأجنبي الى العربية نقلا حرفيا على حسب نظمه في لغته . ثم يعود فيجريه على الأسلوب العربي الأصيل ، فيقدم ويؤخر دون أن ينقص أو يزيد . ثم يعود ثالثة ، فيفرغ في النص روح المؤلف وشعوره باللفظ الملائم ، والمجاز المطابق ، والنسق المنتظم ، بحيث لو جاء المؤلف الأجنبي وكتب قصته أو قصيدته باللغة العربية ، لما كتبها على غير هذه الصورة ..

ولكن يحمد للمؤلف في هذه الموازنة غير المتكافئة ، أنه أعطى يعقوب صروف حقه الكامل في تفوقه وسبقه ، وكأنه شعر بأنه يعقد موازنة بين غير متكافئين أو ندين غير متوازيين في الثقافة والتفكير .

ويقول يعقوب صروف : « ليست الترجمة بالأمر الهين ، بل هي صعبة ، وأصعب من التأليف ، لأن المؤلف طليق بين معانيه ، والمترجم أسير معاني غيره ، مقيد بها ، مضطر الى ايرادها كما هي وعلى علاتها ، اذا لزم الأمانة في الترجمة — كما هو الواجب — والا فليس مترجما ، بل هو مصنف » .

والأستاذ محمد عبد الغني حسن لم يفته رأي الجاحظ في هذا البحث الجليل « فقد كان الأدباء والمترجمون قبله ، مشغولين بالترجمة عملا لا موضوعا للحديث . وكان كل مترجم منصرفا الى عمله في نقل الآثار الفكرية مستغرقا فيه ، لا يشغل عن ذلك بالكلام في شروط الترجمة وأصولها وقواعدها . » قال الجاحظ : « لا بد للترجمان من أن يكون بيانه في الترجمة نفسها ، وفي وزن علمه في المعرفة نفسها ، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول اليها ، حتى يكون فيهما سواء وغاية ... وكلما كان الباب من العلم أعسر وأضيق ، والعلماء به أقل ، كان أشد على المترجم ، وأجدر أن يخطىء فيه . ولن تجد مترجما يفي بواحد من هؤلاء العلماء . »

والتخصص في الترجمة شرط أساسي كما قال الأستاذ رضوان ابراهيم ، اذ كل من يتصدى للترجمة ، ويحمل مسئوليتها ، لا بد أن تتوافر له مقومات ، منها التخصص في الموضوع الذي يترجم فيه ، وليست مجرد المعرفة بالموضوع المترجم.

ويرى الأستاذ أنيس المقدسي أن منطقة الآداب في الترجمة لا يصح أن يدخلها التعريب ، لأن المنهاج الأدبي العالي لا يتسع للمصطلحات والأوضاع الغريبة .

على أن شروط الترجمة عند المعاصرين والمحدثين ، لم يكن من الميسور اهمالها في هذا الكتاب ، فقد ذكر المؤلف الفاضل آراء العتاة في هذا الفن ، والموفين بدين العربية عليهم ، ومنهم : الأمير مصطفى الشهابي ، وعادل زعيتر ، وأحمد حسن الزيات ، وأنيس المقدسي ، وعبد القادر المغربي ، ويعقوب صروف ، ووديع فلسطين ، ورضوان ابراهيم ، وغير هؤلاء . وأشار الى رأي كل منهم وناقشه مناقشة العليم بهذا الفن ، البصير به ، وان كان التعريب — في رأيه — « يجب أن يكون موضع اتفاق تام بين البلاد العربية ، وذلك بتوحيد اللفظة المعربة في كل أقطار العروبة عن طريق مجامعها اللغوية أو العلمية أو أية هيئة أخرى ، كما يجب أن توحد اللفظة المترجمة ، أو المصطلح العلمي المترجم ، في كل بلاد العروبة » .

ومن الحمد المستطاب للأستاذ محمد عبد الغني حسن في هذه الدراسة ، دفاعه عن الشاعر خليل مطران ، وسلوكه سبيل الاغراب في اللفظ عند ترجمته لروائع شكسبير ، وتفنيده حجج فريقي المؤيدين والمعارضين لفعل شاعر القطرين ، وبخاصة الكاتب المفكر ميخائيل نعيمة الذي تناول مطران بالنقد الشديد حينا ، والتهكم اللاذع حينا آخر . وموقفه — أي المؤلف — من إلياذة هوميروس لسليمان البستاني ، وعدم مشاركتها في بناء نهضة علمية أو أدبية ، شأن الترجمة للروائع الأجنبية ، وان كانت تحل مشكلة التخاطب بين من لا يعرفون الا لغتهم القومية .

ولقد ناقش المؤلف ، الزيادة على النص المترجم والحذف منه ، وأتى برأي الزيات في هذا الموضوع ، فما يراه الزيات أنه يجري الترجمة بالأسلوب العربي الأصيل ، ثم يعود فيقدم ويؤخر ، دون أن ينقص أو يزيد .

وما يراه البستاني — معرب إلياذة هوميروس — أنه يحرم على نفسه الزيادة والنقص ، كما يحرم التقديم والتأخير ، الا فيما اقتضاه تركيب اللغة العربية . وما يراه المؤلف أنه قد تضطر مقتضيات الترجمة وبعض ضروراتها المترجم الى إسقاط عبارة من الأصل المترجم منه ، أو اضافة عبارة ليست في الأصل . ولا تنفرد بذلك لغة في الترجمة دون لغة ، ولا مترجم دون مترجم .

غير أن الأستاذ وديع فلسطين يرى أن البتر والتشويه قد يكون عن رغبة في الاقتضاب ، أو عجز عن ترجمة المتن الأصلي ترجمة مستوفاة لشرائط الأمانة الأدبية .

وليس من شك في أن مسألة الحذف والبتر والاسقاط في الترجمة ، قد جرّت المؤلف الفاضل الى أن يقف وقفة طويلة أمام الترجمة بين التلخيص والأداء الكامل ، ويثبت رأي الأساتذة دريني خشبة ، وسليمان البستاني ، وعادل زعيتر ، وانتقاد الدكتور طه حسين ، ومحمود الدسوقي لهذا الرأي ولمن يمضي في هذه الحركة التي تذهب بالأصل . ومن فرسان هذا الميدان الاستاذان نجيب غرغور ، وحسن كامل حجاج .

بيد أن الأستاذ محمد عبد الغني حسن يدافع عن هذه القضية ، ويفتي بالجواز فيها .

وقد سبق بها الفيلسوف العربي ابن رشد ، الذي لخص كتب أرسطو ، ونقلها الى العربية المترجمون والنقلة في أول اشتغال العرب والمسلمين بترجمة الفكر اليوناني ، بقوله : « لقد استقرت هذه الترجمات القديمة التي قام بها رجال من أمثال حنين بن اسحق ، ويحيى النحوي الاسكندراني ، وتيادروس ، وأبي بشر متى ، ويحيى بن عدي ، وابراهيم بن عبد الله ، وابن ناعمة الحمصي ، وأبي روح الصابي ، وابن البطريق ، وغيرهم . وقد التقى هؤلاء على ترجمة أرسطو من اليونانية الى العربية ، أو من السريانية اليها ، كما اتجهوا الى ترجمة غيره من فلاسفة اليونان وحكمائها . وقد كان في هذه الترجمات والنقول ، غموض وابهام ، عزاه بعضهم الى غموض الفكرة نفسها عند الفيلسوف اليوناني ، وعزاه المنصفون الى غموض في عبارات النقلة والمترجمين ، وعدم فهمهم لمرادات الكلام على وجهه ، لأنهم لم يكونوا حكماء ولا فلاسفة ، ولا مشتغلين بالفلسفة ، بل كانوا نقلة ومترجمين لا غير . فلما جاء فيلسوفنا العربي ابن رشد في القرن السادس الهجري ، لجأ الى تلخيص هذه الكتب المترجمة الى العربية منذ بضعة قرون ، تلخيصا يقرب أغراضها ومراداتها ، ويزيل الغموض عنها . »

ويتساءل المؤلف لماذا نترجم ؟ وما الذي نترجمه ؟

ثم يجيب عن تساؤله بآراء العرب والمحدثين « بأن الحاجة قد تأتي أولا على رأس الدوافع التي تبعث الناس على ترجمة الآثار الفكرية ، ونقل الأعمال والعلوم . »

ويرى الأستاذ علي أدهم أن الترجمة مسألة جوهرية في التفاهم الدولي والتقارب الأممي. وقد وسّعت الجرائد والمجلات والاذاعة والتلفزيون آفاقنا الفكرية ، ولكنها في الوقت نفسه ، تساعد على تأكيد الأخطاء الناشئة عن الجهل بأحوال الأمم ، والعجز في فهم مختلف اللغات ، وقد أصبح للكلمة المسموعة أو الكلمة المقروءة ، تأثير بعيد المدى ، عظيم الخطورة ، وزاد ذلك في خطورة المزالق السياسية أو الفنية أو الثقافية أو اللغوية التي يتعرض لها المترجم ، والتبعات الملقاة على عاتقه في أي مؤتمر من المؤتمرات .

ويقول الأستاذ وديع فلسطين : « ان الترجمة ضرورة انسانية لا بد منها ، لأن شعبا مهما بلغ من أسباب الرقي والثقافة ، لا يستطيع أن يستغني بتراثه الخاص عن التراث الانساني العام الذي تتمثل فيه آداب الشعوب الأخرى ، ما بين عرب وعجم ، وبين شرق قاص ، وشرق قريب . »

وينصف الأستاذ محمد عبد الغني حسن عندما يرى أنه لا يجوز أن نترجم الا ما تدعو الحاجة اليه ، فقد تكون هذه الحاجة مادية ، كحاجة الأمة الى ما عند غيرها من علوم الطب والزراعة والصناعة وما اليها ، كما قد تكون روحية معنوية ، كحاجة الأمة الى ما عند غيرها من متع الأدب ، وبدائع الخيال ، وروائع الشعر ، ونفائس القصص . وفي كلتا الحالتين تكون تلبية هذه الحاجة واجبا لا مفر منه ، ولا معدى عنه ، كما يكون التخلف عن الاستجابة هنا تقصيرا كبيرا ، وتفريطا من الأمة في مجموعها ، في حق واجب الأداء ، لا ينهض به عذر مهما كان .

ولقد وافق المؤلف الجاحظ فيما ذهب اليه من صعوبة ترجمة الشعر العربي ، أو أي شعر يراد ترجمته من لغة الى لغة أخرى ، « فلكل لغة موازينها الشعرية الخاصة وموسيقاها الخاصة كذلك ، فمحاولة فرض الوزن الشعري في اللغة المنقول منها الى اللغة المنقول اليها ، هي محاولة للتكليف بما لا يستطاع . » وان كان المؤلف قد أسرع بمخالفة هذا الرأي والتساؤل : « وماذا يكون الشأن لو أن أدباءنا تهيبوا ترجمة أشعار شكسبير ، استنادا الى صعوبة ترجمة الشعر من لغة الى أخرى ، سواء أكانت تلك الترجمة شعرا أم نثرا ؟ » .

والمهم في هذا الفصل ، أن المؤلف ، يستعرض كثيرا من الآداب والأشعار غير العربية وآراء بعض المترجمين في ضرورة هذا النقل والافادة منه ، والاحجام والأقدام ، وضرب الأمثلة . ثم وقف وقفة طويلة تجاه ترجمة الكتب المقدسة ، وأرخ للحركة الفكرية التي صاحبت هذه الترجمة والدافع اليها .

على أن تعدد الترجمات للأثر الواحد ، قد أخذ جزءا كبيرا من هذا الكتاب ، من حيث استعراض بعض وجهات النظر ، والرد عليها ، ومناقشتها مناقشة حرة ، خالية من الجنف والمجاملة ، وان كان المؤلف في هذا الفصل مع الكثرة الكاثرة التي ترى بتعدد الترجمات للأثر الواحد ، وان ضاع الوقت ، وتبدد في الجري وراء لفظ ، أو التنقيب على معنى قد فات مترجما أو ولّى وغاب .

بيد أن المعينات على الترجمة في عصر النقل والترجمة في العصر العباسي الأول كانت الحافظة والحفظ في استعمال الرصيد اللفظي من اللغة الأجنبية التي ينقل عنها ، ولا يعقل أن يختلف وعاء العقل في قطر واحد ، وتظهر ترجمات في العلوم والفنون والآداب تأخذ طابع التعدد أو سمة من سمات التفرد .

واذا جاز لنا أن نقول اليوم بتعدد الترجمة للأثر الواحد ، فلا نجوّز ذلك على بعض العصور التي سبقت عصرنا الحديث ، الذي عمر بالثقافات وأثرى بمختلف اللغات .

والذي يجعلني أميل الى رأي الباحث الأستاذ وديع فلسطين في عدم جواز هذا التعدد ، أنه مهما ترجم الأثر الواحد بعدة لغات أو بعديد من الأشخاص . فاني وغيري ، لا نحمد هذه الترجمة الا لشخص بعينه ، وأديب عرف بأمانته وسعة علمه ، وقدرته على عجم الألفاظ ومطاوعتها والحد من غلوائها ، واخضاعها للقارىء مهما كانت ثقافته ، أو درجته بين الثقافات .

ودون شك ، فان القارىء الواعي ، يأخذه العجب لما أوتيه الأستاذ محمد عبد الغني حسن من الإلمام والسعة وحضور الذهن ، وهو يؤرخ لهذا الفن ، فقد ظهر واضحا احاطته بتاريخ المعاجم الافرنجية العربية وبالعكس ، واختيار اللفظة المترجمة ، وتعريب الأعلام الأجنبية ، وكتابتها بحروف عربية في هذا الكتاب . وليس أدل على ذلك من هذا الترتيب الذي سرده المؤلف في هذه المعينات ، وذكر الأشخاص الذين ساهموا في هذه الحضارة .

والحق أن كتاب : « فن الترجمة في الأدب العربي » من الكتب النافعة التي وضعت أساس الانطلاق ، ورسمت المنهج ، ولفتت النظر الى ثغرة واسعة وهوة عميقة أصيب بها أدبنا العربي ، وكان يجب أن تسد من زمن ، وتملأ من سنين ■



* صدرت الطبعة الثالثة من كتاب «التربية في الاسلام» للعلامة الدكتور أحمد فؤاد الأهواني ، وقد أقام فيه مؤلفه البراهين على أن مقام التربية التهذيبية والأخلاقية في الاسلام انها يساير التيارات الحديثة في التربية في أقوم أصولها .

ومن الكتب التربوية والاخلاقية الأخرى التي ظهرت اخيراً « فصل في تربية الشخصية الاسلامية» للدكتور سعد الدين الجيزاوي ، و «العقدة والأخلاق وأثرها في حياة الفرد والمجتمع» للدكتور محمد بيصار و « مدارس مكة» للأستاذ ناجي معروف .

* أصدر الأديب الأستاذ محمد عبدالغني حسن كتابا عن «حسن العطار» ، وهـو مـن العقـول المستنيرة المجددة في أواخر القرن التاسع عشر ، وكان له أثر كبير في النهضة الفكرية التي شملت الشرق في تلك الفترة . وقد صدرت طائفة من كتب التراجم والسير ، منها : « حافظ ابراهيم شاعر النيل » للدكتور عبد الحميد سند الجندي ، و « الشماخ بن ضرار – حياته وشعره » للأستاذ صلاح الدين الهادي ، و « امرؤ القيس أمير شعراء الجاهلية – حياته وشعره » للدكتور طاهر أحمد مكي و « داود باشا ونهاية المماليك في العراق » للدكتور يوسف عز الدين ، و «عدي بن زيد العبادي–الشاعر المبتكر» للأستاذ محمد علي الهاشمي ، و « الفنان الكبير ليوناردو دافنشي » للأستاذ أحمد أحمد يوسف ، و «كامل مروة كما عرفته » لمجموعة من أصدقاء المترجم له .

* كتاب كبير عنوانه « في الادب المعاصر – بحوث ومقالات » ظهر للأديب العراقي الدكتور يوسف عز الدين تناول فيه آثار بعض الشعراء البارزين كالرصافي والزهاوي والشابي والكاظمي والشبيبي اليعقـوبـي والهنداوي والهاشمي وفدوى طوقان وغيرهم .

ومن الدراسات الأدبية الجديدة التي ظهرت كتاب « ماالذي أخذه الشعر الفارسي من العربية وما الذي أخذه الشعر العربي من الفارسية » للأديب الأستاذ جعفر الخليلي . وظهر الجزء الثاني من كتاب « النقد الأدبي الحديث في لبنان » تاليف الدكتور هاشم ياغي ، وكتاب « محاضرات في اللغة » للدكتور عبد الرحمن أيـوب ، و « فن الشعر الملحمي ومظاهره عند العرب » للاستاذ أحمد أبوحاقة ، و « الأدب في موكب الحضارة الاسلامية » للدكتور مصطفـى الشكعة ، والجزء الأول من « دراسة في مصادر الأدب» للدكتور طاهر أحمد مكي ، و « معالم النقد الأدبي» للأستاذ عبد الرحمن عثمان ، و «لهجة شمال المغرب – تطوان وماحولها» للدكتور عبد المنعم سيد عبـد العـال .

وأصدر الأستاذ الياس عكاوي كتابين في الخط العربي هما « الكتابة العربية الجديدة» و « الخط الرابـع » .

* في التراث العربي صدرت الكتب التالية : «تاريخ الطبري» الجزء العاشر بتحقيق العلامة الأستاذ محمد أبوالفضل ابراهيم ، و« ديوان النابغة » بتمامه رواية ابن السكيت ، وقد حققه الدكتور شكري فيصل ، و « تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد » لابن مالك ، وتحقيق الأستاذ محمد كامل بركات ، و « مقامات الوهراني ورسائله» لمحمد بن محرر الوهراني ، وتحقيق الأستاذين ابراهيم شعلان و محمد نغش .

* مجموعة من كتب البلدان وتاريخها ظهرت حديثا ، منها « فصول من تاريخ المدينة المنورة » للاستاذ السيد علي حافظ ، و «تاريخ شرقي الجزيرة العربية في العصور الحديثة» للدكتور أحمد مصطفى أبو حاكمة ، و « تاريخ جباع ، ماضيها وحاضرها » للاستاذ علي مروه ، و « المديرية الاستـانيـة » للدكتور جميل عبيد ، و « حوليات دمشقية ٨٣٤–٨٣٩» لمؤرخ شامي مجهول ، وقد حققها الدكتور حسـن حبشـي .

* أصدر الأستاذ عبد العزيز بن عبدالله كتاب « المعجم التاريخي» وفيه سجل بأهـم الأحداث والأعلام والأماكن التاريخية مرتبة على حروف القامـوس .

* من الكتب الدينية التي نشرت أخيرا «مقدمة في بيان المصطلحات الفقهية على المذهب الحنبـلي » للشيخ علي بن محمد الهندي ، و « تجديد التفكير الديني في الاسلام» وهو ترجمة للشاعر الراحل الدكتور محمد اقبال ، والجزء الرابع من « معجم الفاظ القرآن الكريم » وقد أعده المرحوم الشيخ أمين الخولي ، والجزء الثاني من « صحيح البخاري المفسر » وبه معجم مفهرس للألفاظ ، وقد اعده الدكتور مصطفى كمال وصفـي .

* يصدر قريبا للعلامة العراقي الأستاذ كوركيس عواد كتاب « معجم المؤلفين العراقيين من القرن التاسع عشر حتى القرن العشرين » ، كما تصدر الحلقتان السابعة والثامنة من « موسوعة العتبات المقدسة » للعلامة العراقي الأستاذ جعفر الخليـلي .

* الشاعر الكبير الأستاذ عـزيز أباظـة أصـدر مسرحية شعرية جديدة عنوانها «زهرة» . وفي الأدب الروائي ظهرت مسرحيتان هما « الفتح الأكبر» للسيدة سنية قراعة ، و « اليسا » للأديبة مي المر ، كما صدرت ثلاث روايات هـي « الطريق الأخـر » للأستاذ سعيد فرحات ، و « بيـت الـذكـريات » للأستاذ حازم مراد ، و « بيكيـت » لشللي ميدانس وترجمة الأستاذ عمر عبد العزيـز أمين .

* من دواوين الشعر الجديدة ظهر « تغـريـد » للأستاذ محمود شعبان ، و « أغـاريـد الفجـر » للدكتور أديب سركيس ، و « سنابـل النار » للأستاذ خليل فاخوري ، و «صوت المـارد » للأستاذ ايليـا أبوشـديـد .

* أصدر الأستاذ كمال النجمي كتاب « أصوات وألحـان عربية » ، وهو دراسة في الأصوات والموسيقى . وترجم الأستاذ حليم طوسون كتابا عن روبية جارودي عنوانه « واقعية بلا ضفاف » درس فيه فن بيكاسو وكافكا وسان جون بيرس وغيرهم .

* من الكتب العلمية الحديثة الصدور « قصـة الورق » للدكتور أنور محمود عبد الواحد ، و « البحر والنـاس » للدكتور سيـد حسـن شرف الـدين ، و « الجـراحة الطـارئة في الحـروب والكـوارث » للدكتورين عبد اللطيف البدري ويوسف النعمـان ، كما ظهرت تسعة أجزاء من « الموسعة الطبية الحديثة » التي يترجمها الدكتور ابراهيم أبو النجا وآخرون .

* صدر للدكتور محمود محمد الجوهري كتـاب « العـلاقات العـامة بين الادارة والاعـلام » يتناول الجوانب التطبيقية لفـن العلاقات العـامة .

* من قصص الأطفال ظهر « العدالة العربية » و « ليلى في الصحراء » للمربي الجليـل الأستاذ محمـد عطية الابراشـي ، و « الكـنـز » للدكتور فـايـد العمروسي ، و « مقبرة الأفيال » للأستاذين عبـد العزيز عبد الحميد وصلاح عبد الصبـور ■



صاحب السمو الملكي الامير مشعل بن عبد العزيز أمير منطقة مكة المكرمة .

جُدَّة

عَرُوسُ البَحْرِ الأحْمَر

حَاضِرة لاتنام، وَثغر مكتظّ صَاخِبٌ بالحركة، ومركز تجاري هامّ يزخر بالنشاط مُنذ أقدم العُصُور. ومَدِينَة تتّسم بسمات النموّ والتطوّر وتتمتّع بمجد غابر وعزّ قديم. فهي بَابُ مكّة المكرّمة، ومحطّ رحال الحُجّاج اليها.

منظر عام لناحية من نواحي جدة ، ويرى في الواجهة مبنى وزارة الاعلام المكون من ١٣ طابقا .

منذ خمسة عشر عاما ، قدم الديار المقدسة حاجا ، الصحافي الأستاذ محي الدين رضا ، فدوّن انطباعاته عنها في كتاب دعاه « صور ومشاهدات عن الحجاز » . ومما ذكره عن مدينة جدة في ذلك الكتاب قوله : « .. وجدة اليوم غيرها بالأمس ، وجدة بعد عام أو أعوام ستكون غير التي عرفناها قديما ، وعرفها آباؤنا وأجدادنا ، وهكذا سنة العمران والتقدم .. » ولقد صدقت فراسة ذلك الصحافي ، فجدة اليوم تختلف تمام الاختلاف عما كانت عليه يوم زارها ، فالشوارع العريضة الحديثة حلت محل الشوارع الضيقة العتيقة ، والمباني الفخمة الضخمة شيدت مكان الدارات القديمة المبنية بالحجر الجبلي والمزينة بالرواشن الخشبية المنمقة ، والفنادق العصرية حلت محل الخانات البسيطة ، وأصبحت أسواق المدينة التجارية تعج بالحركة والنشاط ، وأجواؤها تمتليء بدخان المصانع ، وطرقاتها تكتظ بآلاف السيارات والسابلة .

انها مدينة حية نامية متطورة تتسع وتتضخم وتنمو باستمرار ، حتى أصبحت اليوم تغطي رقعة تزيد مساحتها المأهولة على ١٥٥٠٠٠٠٠ متر مربع .

تسمية المدينة وموقعها الجغرافي

يرجح غالبية المؤرخين ، ومن ضمنهم الأستاذ عبد القدوس الانصاري في كتابه « تاريخ مدينة جدة » ، ان اسم جدة يلفظ بضم الجيم ، ولكنهم يختلفون في سبب تسميتها . فيقول البكري في معجمه : « جده بضم أوله ساحل مكة ، سميت بذلك لأنها حاضرة البحر ، والجدة من البحر والنهر ما يلي البر . » ويقول محمد بن أحمد البشاري : « جدة بضم الجيم مدينة على البحر ، منه اشتق اسمها . » على أن ابن المجاور الدمشقي يرى أن جدة سميت كذلك لأن أم البشر حواء عليها السلام دفنت فيها ، فهي جدة جميع العالم . »

وتقع جدة ، على الساحل الشرقي للبحر الأحمر على خط طول ٣٩ درجة و ١٢ دقيقة شرقا ، وخط عرض ٢١ درجة و ٣٠ دقيقة شمالا . وهي ثغر بحري مهم ، يزيد في أهميته كونه المرفأ الرئيسي للمنطقة الغربية ، والميناء الجوي الدولي في غربي الجزيرة العربية .

وأرض جدة بصورة عامة رملية جافة ، وفيها بعض المناطق المنخفضة التي تتشكل فيها بعض المستنقعات لدى هطول الأمطار .

نبذة تاريخية

يختلف المؤرخون في تاريخ بناء جدة . فمنهم من ينسب بناءها الى الفرس ، ومنهم من ينسبه الى العرب . فعبد القدوس الانصاري في كتابه « تاريخ مدينة جدة » يرى من خلال بحوثه التاريخية المقارنة « أن الأساس في نشأة جدة لأول مرة ربما كان من طائفة من « حوّاتين » عرب مجاورين لهذه المنطقة التي بنيت فيها .. اتخذوا العرائش مساكن متواضعة لهم ، ليأووا اليها بعد رحلاتهم للصيد في عرض البحر . ثم جاء قضاعة وأبناؤه ، وهم من معد بن عدنان ، فأقاموا بهذه المنطقة ، وعرفوها وعرفت بهم ، حتى ان أحد أبنائهم سمّوه بها ، وهو جدة ابن جرم بن ربان » . ولكن الرأي القاطع الجازم لا يمكن الوصول اليه الا متى تيسر لهذه المدينة دراسات أثرية مركزة تزيل الغموض عن ماضيها العريق . والأمر الذي لا يرقى اليه الشك هو أن هذه المدينة كانت قائمة منذ أيام الجاهلية ، ولعل أكبر دليل على قدمها ما ورد في كتاب « الأخبار الطوال » لأحمد بن داوود الدينوري : « ان الاسكندر المقدوني جاء مكة المكرمة في حياة النضر بن كنانة ، ثم قطع البحر من جدة يؤم بلاد المغرب » . والمعروف أن الاسكندر عاش في النصف الأول من القرن الرابع قبل الميلاد . وكذلك ما أورده ياقوت الحموي : « ان جدة بنيت عند تبلبل الألسنة وتفرق الأمم . »

ومن المتفق عليه بين المؤرخين أن الخليفة عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، أمر بنقل مرفأ مكة من الشعيبة الى جدة في منتصف العقد الثالث من القرن الهجري الأول . ومنذ ذلك الحين أخذت هـذه المدينة تتطور وتتقهقر ، وتتسع وتضمر ، حسب ما تتعرض لـه من ظروف مواتية أحيانا ، وغير مواتية أحيانا أخرى . ولكنها مع كل ما مرّ بها من عوامل التقدم والتأخر ، بقيت باب مكة المكرمة الوحيد ، وثغرها المطروق النشط ، ولا سيما في أيام الحج المباركة .

ولعل أقدم وصف لجدة هو ما جاء في رحلة ابن جبير حيث يقول : « أكثر بيوتها أخصاص ، وفيها فنادق مبنية بالحجارة والطين ، وفي أعلاها بيوت من الأخصاص كالغرف ، ولها سطوح يستراح فيها بالليل من أذى الحر . وبهذه القرية آثار قديمة تدل على أنها مدينة عريقة ، وأثر سورها المحدق بها باق الى اليوم . وأكثر سكانها مع ما يليها من الصحراء والجبال أشراف علويون وحسنيون وجعفريون .. »

وبعد نحو من ثمانية قرون من ذلك التاريخ كتب محمد لبيب البتنوني في كتابه « الرحلة الحجازية » يصف لنا جدة عام ١٣٢٩هـ ، أثناء خضوعها للحكم العثماني ، فيقول : « وشوارع جدة لا نظام فيها ، مبنية بالحجر الجبلي الذي يأتون بـه من الجبال القريبة ، أو الحجر المائي الذي يقطعونه من شعاب البحر ، وهو خفيف جدا وفي غاية المتانة ، الا أن خطره جسيم وضرره عظيم ، لأنه قابل للالتهاب بسرعة لما يحويه من المواد الفسفورية . ومساكنها كمساكن الحجاز ، وهي أشبه بمساكن مصر في عهد المماليك ، بها غرف كبيرة ولواوين واسعة ذات سقوف عالية ، ولها شبابيك طويلة عريضة على شكل المشربيات يسمونها الرواشن (مفردها روشن وهي كلمة فارسية معناها المنور) ، وشغلها الخشبي يشبه ما يسمونه بالمنقور أو المنجور ، وأكثره من النوع المسمى بالشيش » .

وهذا النمط الشرقي المألوف في البناء ظل متبعا وقائما حتى عام ١٣٤٨هـ ، حين بدأ عهد عمراني جديد يصفه الأستاذ الانصاري بقوله : « وظل العمران جاريا على هذه الوتيرة ، حتى

جاءت سنة ١٣٤٨هـ (١٩٢٩م) ، فبني أول منزل بجدة بمادة جديدة لم يكن البناء معهودا بها من قبل ، وهي الاسمنت المسلح .. وكان أول منزل ذي طبقات عمّر بهذا الطراز الجديد هو منزل آل زينل في باب جديد الذي لا يزال قائما حتى الآن . »

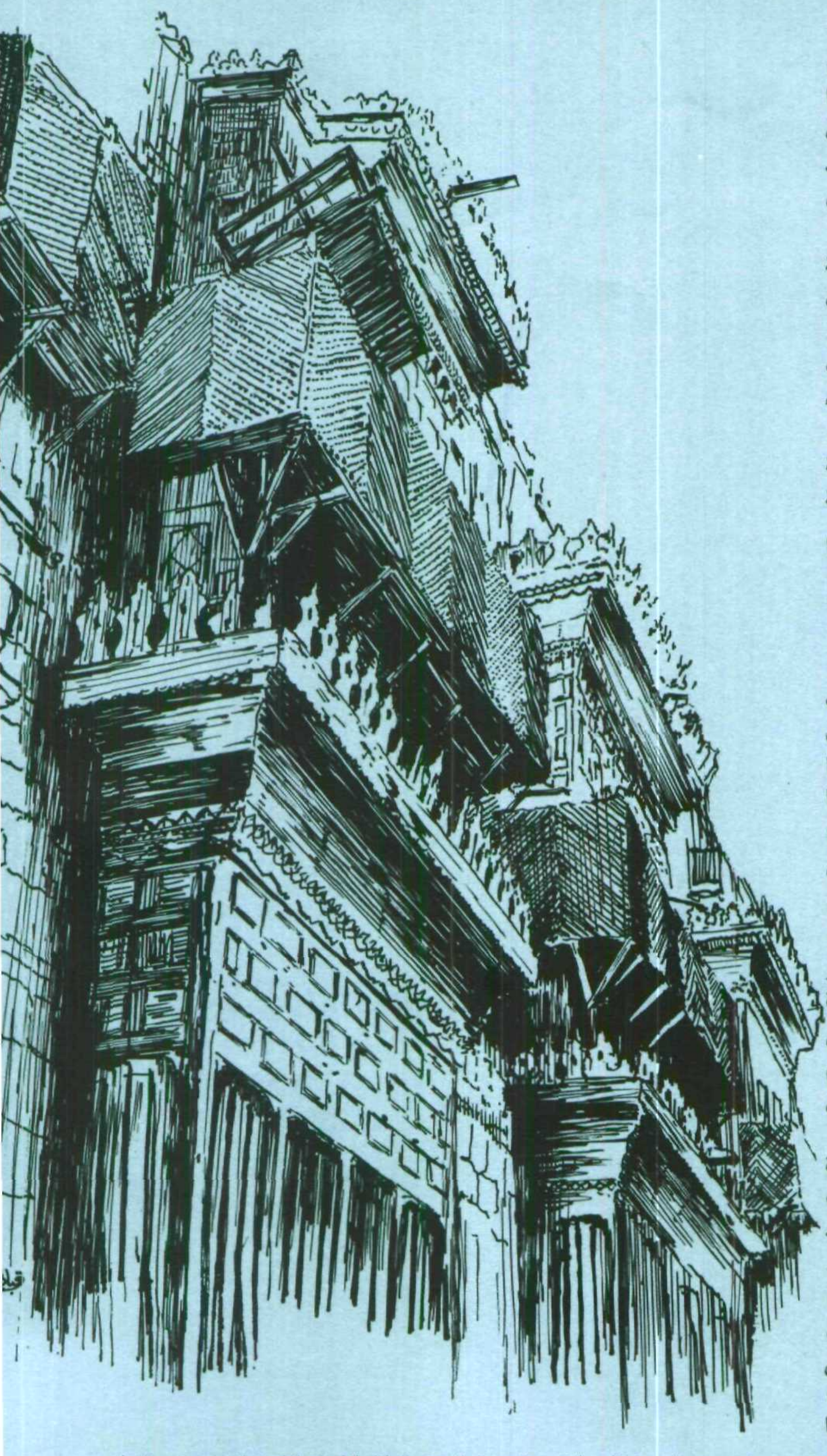
وكان يحيط بالمدينة سور ارتفاعه أربعة أمتار ، وله تسعة أبواب ، ولكنه هدم بعد أن ضاقت المدينة بمساكنها وامتد العمران الى الخارج. ولعل أكبر نهضة عمرانية شهدتها جدة كانت في السنوات الأخيرة ، حيث قامت عدة أحياء منظمة حديثة مثل البغدادية ، والهنداوية ، والنزلة ، ذات الشوارع الحديثة العريضة والمباني العصرية الضخمة . كما أقيمت فيها أيضا أسواق تجارية مزدهرة . وتجار جدة معروف عنهم مقدرتهم على اجتلاب الزبائن بحسن المعاملة والملاطفة .

مجتمع جدة

سكان جدة خليط متعدد العادات والجنسيات منذ أقدم العصور . وربما يرجع السبب في ذلك الى قربها من مكة المكرمة ، حيث يفد اليها سنويا مئات الآلاف من الحجاج ، ولأن فيها مقر وزارة الخارجية ودور تمثيل دبلوماسي لـ ٤٨ دولة . ولعل أصدق وصف لسكان جدة الأقدمين هو ما قاله الرحالة المستشرق « بوركهارت » : « ان سكانها كسكان مكة والمدينة أغلبهم أغراب ، والوطنيون القدماء قليلون جدا وهم من أسر الأشراف ، وأكثرهم في وظائف المساجد وقضاة المحاكم ، وهم مثقفون ثقافة دينية . وكثير من السكان أصلهم من حضرموت واليمن ، وهم الأغلبية ، ومئات من الأسر الهندية وبعض الملايو . »

وقدر محمد لبيب البتنوني تعداد سكان جدة عام ١٣٢٧هـ بخمسين ألفا ، منهم عشرة آلاف نسمة من الأجانب المسلمين . بينما يبلغ تعداد سكانها حاليا ما يقرب من نصف مليون نسمة . وقد قدرت منظمة الصحة العالمية ، في سنة ١٣٨١ ، نسبة السعوديين من السكان بحوالي ٣٥ في المائة .

ومجتمع جدة غني نسبيا ، ولعل أكبر دليل على غناه ازدحام شوارع المدينة بالسيارات ، التي لا ينقطع سيلها ، وامتلاء رفوف متاجرها بالسلع المتنوعة المتعددة ، وقيام المصانع في أطرافها .



مباني جدة القديمة ذات النقوش الخشبية المتقنة والنوافذ الطويلة الواسعة التي تعرف بالرواشن .

مباخر وزهريات وسلع معدنية أخرى يجمل اقتناؤها لتزيين المنازل .



عين ساهرة ويد منظمة .



ميناء جدة يتمتع بشهرة واسعة وأهمية كبيرة منذ آلاف السنين .

وحياة جدة نوعان حياة النهار ، وقوامها العمل والدأب والصناعة والتجارة ، وحياة الليل وعمادها السهرات العائلية والولائم وحفلات السمر التي تتخللها ألعاب التسلية البريئة وأشهرها « البلوت » . ولا بد أثناء تلك السهرات الطويلة من أن تدار أكواب القهوة والشاي وأطباق الفاكهة على الحضور ، وقد تتصدر الشيشة (النارجيلة) طرفا من الديوان ، بقامتها الممشوقة ومعدنها الوهاج وخرطومها الطويل المتعدد الألوان . أما عطلات الأسبوع فيحرص سكان جدة على قضائها على شاطىء البحر الأحمر ذي المياه الهادئة ، والشعب المرجانية البديعة الألوان . وجدة غنية بالمطاعم والمتنزهات والمقاهي .

وأهل جدة الأصليون أهل كرم ، يحبون الضيف ويسخون في تكريمه وتعزيزه وهم علاوة على ذلك أهل حشمة وتسامح ومروءة وعطف على الفقير ، بالرغم من كونهم أهل بذخ وزينة . وهم يحترمون كبارهم ويحسنون تربية صغارهم . ونسبة المتعلمين بينهم مرتفعة .

الثروة المائية

عانت جدة في الأيام الغابرة ضائقة كبيرة بسبب عدم توفر المياه ، الأمر الذي حال دون قيام أي زراعة في المدينة أو حولها ، وربما كان ذلك من عوامل عدم اتساعها وعدم نموها . وكان المورد المائي الوحيد فيها آنذاك الآبار والصهاريج التي تجمع فيها مياه الأمطار . ولم تكن تفي هذه الآبار ، على كثرة عددها ، بحاجة البلدة الماسة للمياه . وهكذا بقيت تعاني هذه الأزمة ، حتى عهد السلطان قانصوه الغوري آخر سلاطين المماليك ، الذي قام في القرن العاشر الهجري بجلب ماء عذب الى جدة من وادي « قوص » ، الواقع بشمال « الرغامة » التي تبعد عن جدة حوالي ١٢ كيلومترا . ولكن مياه هذا النبع ، نظرا لقربها من البحر كانت عرضة للملوحة ، كما أن كثرة الأمطار وقلتها كانت تؤثر في ذلك . بيد أن السقيا من هذه العين استمرت حتى سنة ١٣٠٤هـ ، عندما استعيض عنها بمياه العين الوزيرية ، التي تبعد عن جدة حوالي ٢٠ كيلومترا ، والتي أجراها اليها السلطان العثماني عبد الحميد الثاني . وقد بنيت في المدينة عدة خزانات لتخزين ماء هذه العين ، تتفرع عنها شبكة أنابيب توصل المياه الى سبل عامة أقيمت في قلب المدينة .

ولكن هذه العين ما لبثت ان تهدمت ، وعاد الأهلون الى الشرب من مياه الآبار . وفكرت الحكومة العثمانية باصلاح هذه العين ، ولكنها استعاضت عن ذلك بانشاء معمل لتقطير مياه البحر ، كان يطلق عليه محليا اسم « كنداسة » تحريفا للكلمة الانكليزية « Condenser » التي تعني مقطرة ، أو جهاز تقطير . وبقيت هذه المقطرة تعمل مدة من الزمن ، ثم ما لبثت ان توقفت . وفي عهد الحكومة السعودية جرى انشاء وحدتين للتقطير أمنتا السقيا لجدة عقدين من الزمن ، قبلَ قيام مشروع « عين العزيزية » الذي سمي كذلك اعترافا بفضل بانيه المغفور له جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، والذي بوشر



مبنى وزارة الخارجية وتشرف على ميدان البيعة في جدة .



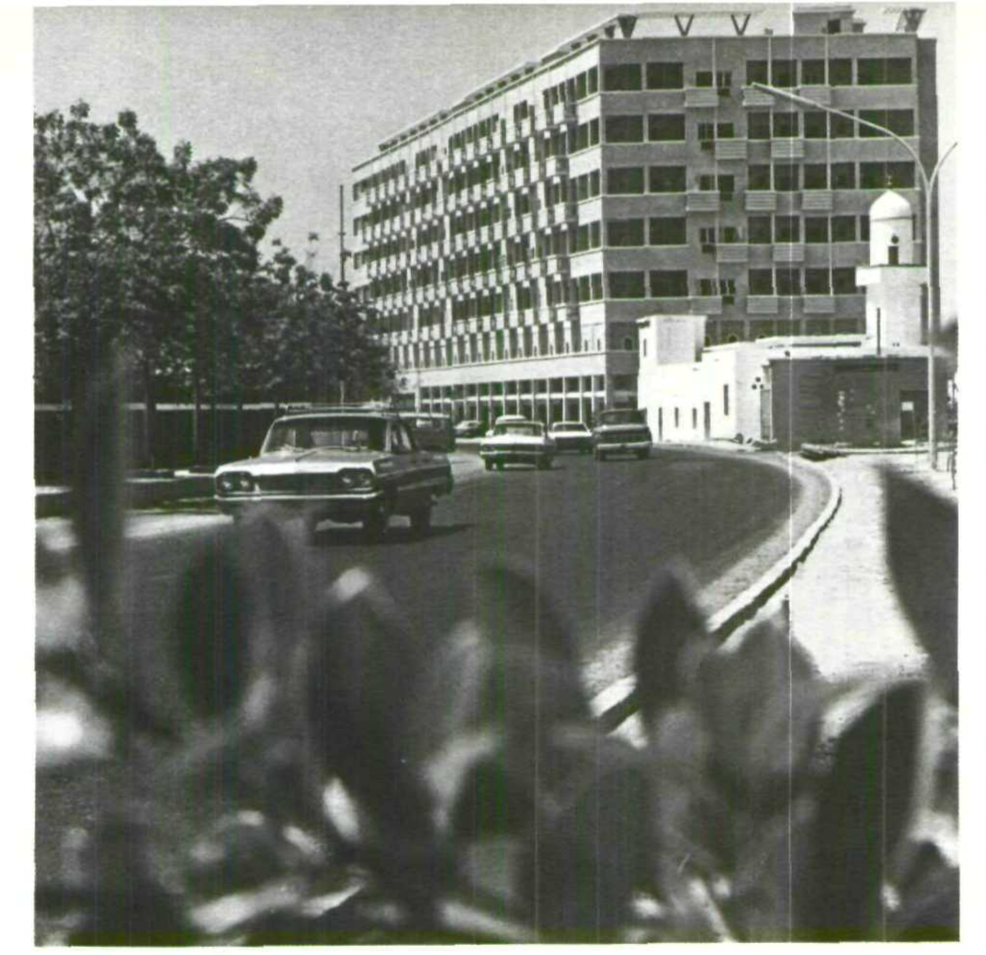
احد المساجد في مدينة جدة .

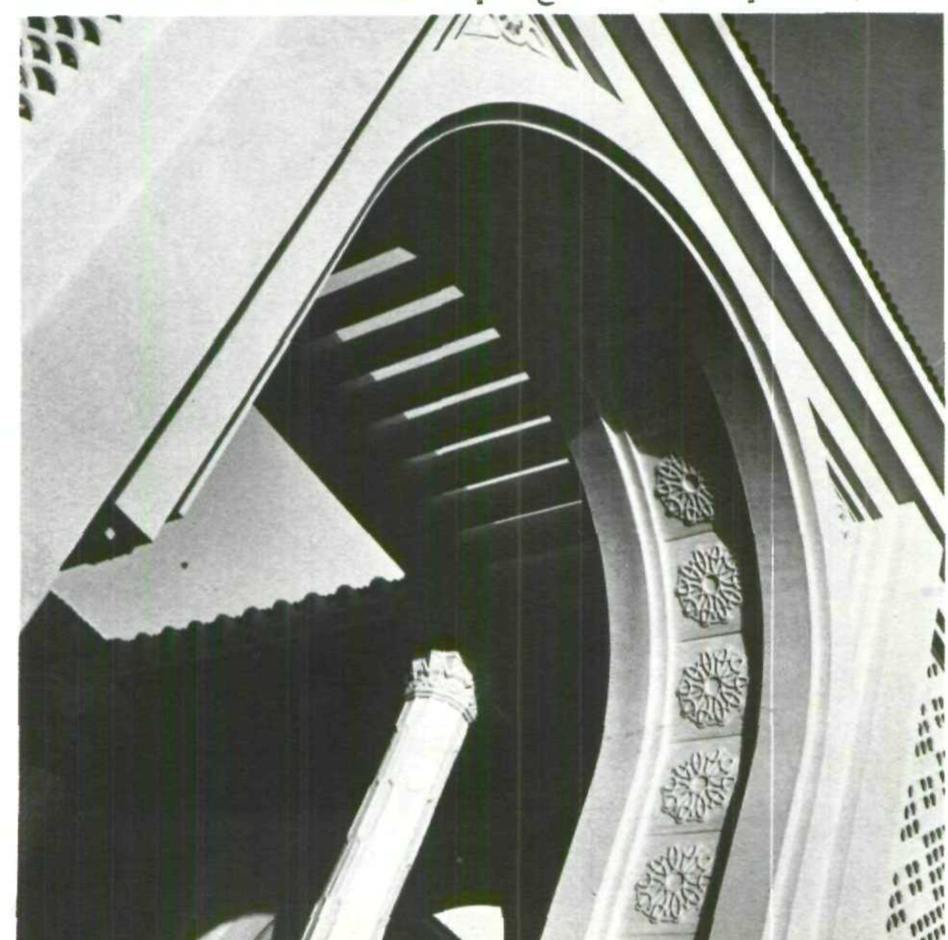


حدائق غناء وسوق تجارية دائبة الحركة .

فيه عام ١٣٦٥ . وكان في مرحلته الأولى ، يزود جدة بنحو ٦٥٠٠٠٠ جالون من المياه ، من وادي فاطمة في خط أنابيب قطره حوالي ٣٥ سنتيمترا . فحلت بذلك أزمة المياه في جدة في ذلك الزمن . ولكن اطراد اتساع المدينة وازدياد عدد سكانها أثارا الأزمة من جديد ، الأمر الذي حدا بالحكومة الى انشاء خط أنابيب آخر من وادي فاطمة الى جدة ، قطره حوالي نصف متر ، فأمن للمدينة كمية اضافية من المياه مقدارها خمسة ملايين جالون يوميا . وما أن انتهى انشاء هذا الخط حتى بوشر بمد خط ثالث عام ١٣٧٥ ، قطره حوالي ثلاثة أرباع المتر ، وقد تم انشاء هذا الخط عام ١٣٨٢ ، فأمن للمدينة كمية اضافية من المياه مقدارها ثمانية ملايين جالون يوميا . وفي عام ١٣٨٥ نفذ مشروع جديد لجر المياه الى جدة من منطقـة تعرف باسم وادي خليص ، أصبح يزود البلدة بنحو ٥ ملايين جالون اضافية من المياه . وهكذا أصبح يصل الى جدة حوالي عشرين مليون جالون من المياه يوميا .

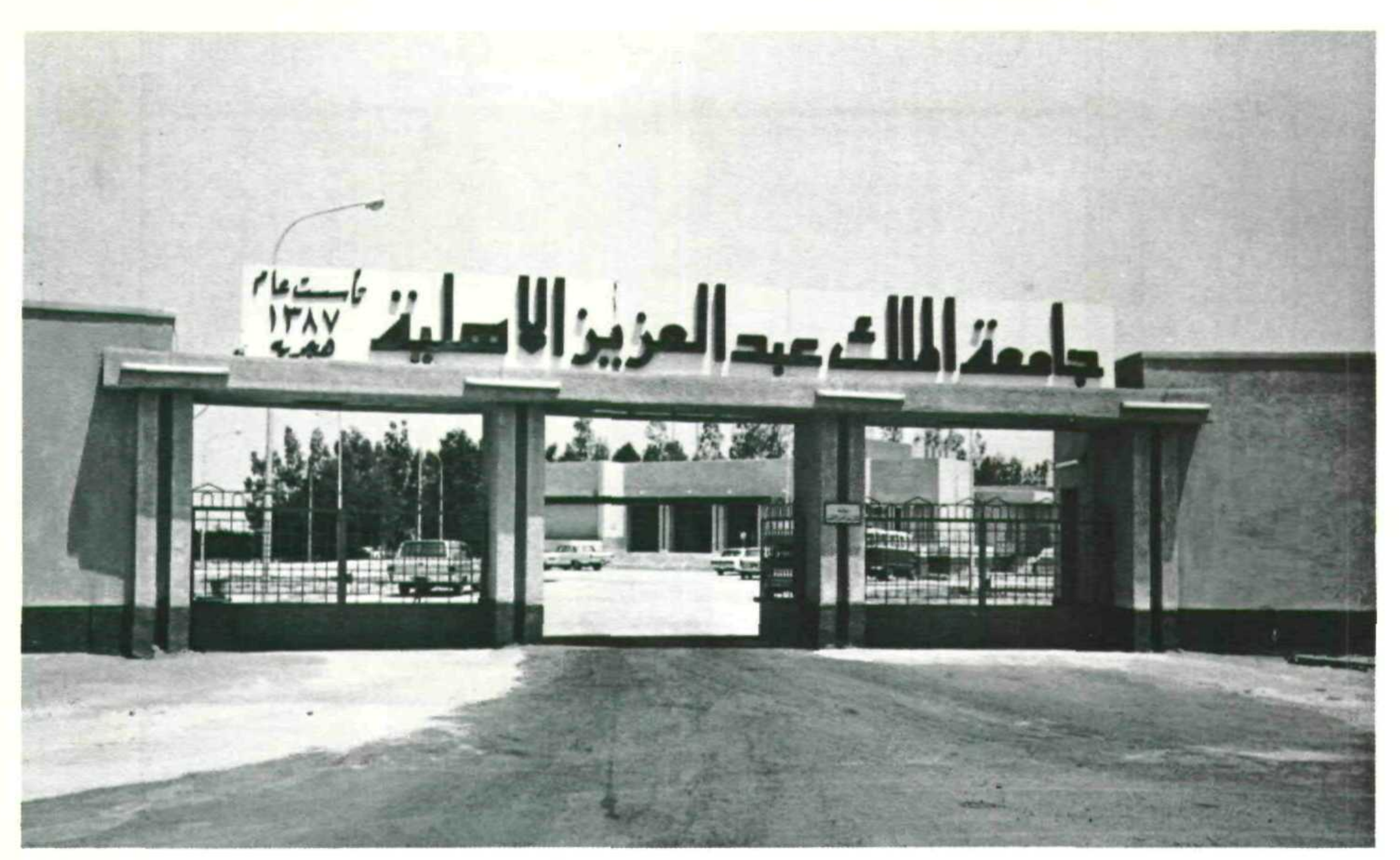
وعلاوة على ذلك يجري العمل حاليا في مشروع جديد لتحلية مياه البحر يشرف عليه سمو الأمير محمد الفيصل ، وقد استوردت معظم الآلات الضرورية لهذا المشروع ، ويتوقع أن ينجز في يونيه عام ١٩٦٩م ، حيث يؤمن لجدة نحو خمسة ملايين جالون من المياه العذبة الصالحة للشرب يوميا ، وخمسين ألف كيلوواط ساعة من الكهرباء . وتقدر تكاليف هذا المشروع بـ ٨١ مليون ريال ، وهو قابل للتوسعة عند الضرورة .


جانب من أحد شوارع المدينة .

تتسم بعض المباني الحديثة في جدة بالطابع العربي الاصيل من حيث القناطر الرحبة والسقوف المرتفعة .


الحركة الثقافية

لم يورد المؤرخون شيئا يذكر عن الحركة الثقافية في جدة في الأزمنة الغابرة . بيد أنه في أوائل القرن الحالي فتحت الدولة العثمانية مكتبا رشديا في جدة ، قال عنه الأستاذ الانصاري : « لعله كان المدرسة الأولى المنظمة تنظيما شبه عصري » . ولكن هذا المكتب لم يكن يعنى بغير تلقين الأبناء مبادىء اللغة التركية . ولم يتطور التعليم عن هذا الحد الا في أواخر عهد الأتراك عندما قام لفيف من أهالي جدة بتأسيس مدارس أهلية خاصة ، كان منها مدرسة السيد عبد الرحيم الطرابلسي المدني ، ثم مدرسة الشيخ أحمد شاهين ، ثم مدرسة الشيخ شمس . ولكن



المشروع الاهلي الضخم الذي ظهرت بوادر ثمراته طيبة يانعة .

المدرسة التي اعتبرت نقطة تحول في تاريخ التعليم في جدة هي « مدرسة الفلاح » التي أسسها الشيخ محمد علي زينل رحمه الله عام ١٣٢٣هـ ، فكانت اللبنة الأولى في صرح النهضة الثقافية في جدة . وقد تطورت هذه المدرسة تطورا كبيرا حتى أصبحت تدرس فيها المراحل الثقافية الثلاث : الابتدائية والمتوسطة والثانوية .

وفي عام ١٣٧٤هـ ، أسست وزارة المعارف في المملكة العربية السعودية ، فعملت على تعميم التعليم في شتى ربوع المملكة والمدن الرئيسية فيها وكان من نتيجة ذلك أن يوجد في جدة الآن ١١١ مدرسة حكومية ، بعضها للبنين وبعضها للبنات ، تضم بين جدرانها ٣٥٣٦١ طالبا وطالبة ، منها مدارس لمحو الأمية ، وابتدائية ، وثانوية ، ومتوسطة ، ومهنية ، ومعاهد لاعداد المعلمين ، ومعاهد لاعداد المعلمات ، ومعاهد فنية . وبالاضافة الى ذلك يوجد بها ٤٩ مدرسة أهلية خاصة ، ما بين دور حضانة ، ومدارس ابتدائية ، وثانوية ، وأخرى للغات .

ولعل أكبر دليل على حدب أهالي جدة على الثقافة هو المشروع الأهلي الضخم الذي تم انشاؤه في السنوات القليلة الماضية ، والذي كان ثمرة جهودهم ومساندتهم المادية ، ألا وهو مشروع « جامعة الملك عبد العزيز الأهلية » ، التي تم انشاؤها وافتتاحها عام ١٣٨٧هـ ، بكلية للاقتصاد والادارة . ضمت ٦٠ طالبا في السنة الأولى الاعدادية ، و ٣٠ طالبة في قسم الدراسة المسائية . واستقبلت الكلية في العام الدراسي الحالي ٧٧ طالبا جديدا و ٤١ طالبة في قسم الدراسة المسائية ، بالاضافة الى ٤٨ طالبا و ١٤ طالبة نقلوا الى السنة الأولى الجامعية وبذلك أصبح عدد طلاب الجامعة في العام الحالي ١٨٠ طالبا وطالبة . ويرجى لدى اكتمال مخططها في غضون السنوات العشر القادمة أن يصبح فيها أربع كليات ، هي : كلية الاقتصاد والادارة ، وكلية الآداب والعلوم الانسانية ، وكلية العلوم ، وكلية البنات . وهيئة التدريس في الجامعة نخبة منتقاة من ذوي الشهادات العالية ، منهم المتفرغون ومنهم غير المتفرغين . وقد زودت الجامعة بمكتبة غنية ، ونادٍ للطلبة ، وجناح للعناية الصحية ، وفيها معامل للعلوم ، ومختبر لتعليم اللغة الانكليزية . وهي تدفع مكافآت تشجيعية شهرية لكل طالب لديها .

النهضة الصحية

يقع في جدة مقر مديرية الشؤون الصحية للمنطقة الغربية ، التي أسست في هذه البلدة عددا من المستشفيات والمراكز الصحية ، منها المستشفى المركزي الحاوي على ٤٠٠ سرير ، والذي يعمل فيه ٤٢ طبيباً و ٦٩ ممرضاً وممرضة . وتستقبل عيادته الخارجية حوالي ٣٠٠٠ مراجع يوميا . ومستشفى الملك الذي يتقاضى من المرضى أجرا رمزيا للكشف والعلاج . ومستشفى الرمد المزود بأطباء أخصائيين في العيون . وتشرف المديرية كذلك على ست مستوصفات ، في كل منها طبيب وممرض وممرضة ومساعد صيدلي .

وفي جدة أيضا مكتب للتفتيش الصحي ، يشرف عليه طبيب مختص بالطب الوقائي . ويتبع هذا المكتب بنك جدة للدم ، وفيه طبيب مختص بهذه المهمة . وفيها أيضا محجر صحي تابع لادارة الكرنتينات العامة ، يحتوي على ٣٠٠٠ سرير ، ومزود بمختبر ومعمل للتبخير والتعقيم ، ومركزان صحيان في كل من المطار والميناء .

وبالاضافة الى ذلك يوجد في جدة أربع مستشفيات أهلية خاصة ، تشرف عليها المديرية ، وعدد كبير من عيادات الأطباء الخاصة . وتحت الانشاء حاليا مستشفيان أهليان جديدان .

النشاط الأدبي والاعلامي

تعتبر جدة ملتقى الأدباء ورجال العلم في المنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية . ويصدر فيها عدد من الصحف والمجلات الأدبية والثقافية . فالصحف اليومية هي : « البلاد » ورئيس تحريرها الأستاذ عبد المجيد الشبكشي ، و « عكاظ » ورئيس تحريرها الأستاذ عبد الله عمر خياط ، و « المدينة المنورة » ورئيس تحريرها الأستاذ عثمان حافظ . والمجلات الشهرية هي : « المنهل » لصاحبها ورئيس تحريرها الأستاذ عبد القدوس الانصاري ، و « التجارة » وتصدر عن الغرفة التجارية الصناعية بجدة ، و « حماة الأمن » وتصدر عن وزارة الدفاع . وفي جدة أيضا ثلاث نشرات تصدر باللغة الانجليزية ، « فالنشرة الاقتصادية » و « أخبار البحر الأحمر » تصدران عن مؤسسة عاشور للعلاقات العامة ، و « ربليكا » تصدر عن الدار السعودية للنشر . هذا علاوة على الكتب والمؤلفات التي تصدر عن الأدباء في هذه المدينة . وفي جدة داران للنشر هما : « دار مدني وقنديل » و « الدار السعودية » ، وعدد من المطابع والمكتبات العامة والخاصة .

واذا تحولنا من النشاط الأدبي الى النشاط الاعلامي وجدنا اذاعة جدة التي تبث برامجها على ثلاث موجات متوسطة ، وثلاث موجات قصيرة ، وهي مسموعة بسبع لغات ، بالاضافة الى اللغة العربية ، ومحطة التلفزيون التي تبث يوميا نحو أربع ساعات تزاد الى نحو ضعف ذلك الوقت أيام الجمع والعطل الرسمية .

الحركة الصناعية

نشطت الحركة الصناعية في جدة في الآونة الأخيرة نشاطا ملموسا ، الأمر الذي أدى الى قيام عدد كبير من الصناعات فيها . ومن أهم مصانعها : مصنع الاسمنت ، ومصنع التايد ، ومصنع المعكرونة ، ومصانع عبد الله هاشم وسهل قباني للسفن ، ومصنع السكاكر ، ومصنع التاج لصنع الثلاجات ، ومصانع الطوب الأحمر والطوب الجيري ، ومصانع البلاط وطوب الاسمنت ، ومصنع الجلود والدباغة ، ومصنع الكراسي المعدنية ، ومصنع الدواليب وطاولات المكاتب ، ومصنع الحلاوة الطحينية ، ومعمل الزجاج والمرايا ، ومعمل الستائر المعدنية ، ومصانع الألمنيوم ، وخلاف ذلك . ومن أهم المعامل التي تقوم في جدة حديثا مصفاة جدة لتكرير الزيت الخام ، ومصنع الحديد والصلب ، ومعمل الزيوت والشحوم وخلافها ، وهي من المشاريع الحية التي تضطلع بها المؤسسة العامة للبترول والمعادن (بترومين) .

النشاط الاجتماعي

يتولى الاشراف على النشاط الاجتماعي في جدة مديرية الشؤون الاجتماعية ، التي يتمثل نشاطها في الاشراف على الجمعيات التعاونية ، ومشغل الخياطة للسيدات ، والمؤسسات الاجتماعية ، كدار الرعاية الاجتماعية للمسنين والمقعدين ، ودار التوجيه الاجتماعي للأحداث ، ومركز رعاية الطفولة والأمومة ، وخلافها . كما يتمثل نشاطها أيضا في ادارة رعاية الشباب ، التي تشرف على النشاط الرياضي في المدينة . وفي جدة سبعة أندية رياضية ، تمارس فيها ألعاب كرة السلة ، والكرة الطائرة ، وكرة القدم ، وكرة الطاولة ، وألعاب القوى . والى جانب النشاط الرياضي هنالك ندوات ثقافية واجتماعية تعقد في هذه الأندية ، وتلقى فيها محاضرات تربوية مختلفة .

بحر جدة وأسماكه وغرائبه الوانه

تكثر في مياه جدة الشعاب المرجانية المختلفة الأشكال والألوان وهي تضفي على مياه البحر منظرا يستهوي النواظر ويأسر الألباب . ولعل



نافورة ملونة في ميدان البيعة في جدة .

أدق وصف لجمال تلك المياه ما جاء في الارتسامات اللطاف للأمير شكيب أرسلان ، حيث يقول : « .. فلقد طفت كثيرا من البحار ، وعرفت أكثر البحر المتوسط ، والبحر الأسود ، وبحر البلطيك ، وبحر المانش ، والأوقيانوس الاطلانتيك ، ولم يقع بصري على شيء يشبه مياه بحر جدة في البهاء واللمعان . كنت كيفما نظرت يمنة ويسرة أشاهد خطوطا طويلة عريضة في البحر أشبه بقوس قزح في تعدد الألوان وتألق الأنوار ، من أحمر وأزرق وبنفسجي وعنابي وبرتقالي وأخضر ، الخ .. » الى أن يقول : « .. وقد يقتلع الملاح والغواص منها أشجارا ، تسمى بشجر المرجان ، هي في غاية الجمال ، ومن أبهى ما يوضع في أبهاء القصور للزينة . فهذه الشعاب هي التي تنعكس ألوانها على سطح الماء ، أشبه ما تكون بذيول الطواويس . وهي في الوقت نفسه الأخطار الدائمة على السفن . فسبحان الذي أودع فيها الحسن ، ولكنه أنزل فيها البأس . »

على أن كثرة الشعاب تشكل مأوى أمينا لمختلف أنواع الأسماك ، الأمر الذي جعل من بحر جدة بحرا غنيا بالثروة السمكية ، التي اذا استغلت استغلالا اقتصاديا مدروسا ، عادت على البلاد بثروة طائلة وفيرة . فقد أكدت الدراسات العلمية التي أجراها عدد من الباحثين أن هنالك حوالي مائة وثمانين نوعا من الأسماك في مياه البحر الأحمر وقد قامت في جدة شركات محلية لصيد الأسماك واستغلالها ، ولكنها حتى الآن محدودة ، وتعمل في نطاق ضيق ، ولا شك أن مجال تصريف انتاجها واسع ، سواء في داخل المملكة أو في خارجها .

ومن أغرب أسماك البحر الأحمر السمكة الرعادة ، التي ترتعد لدى إلقاء القبض عليها ، وسمكة رقطية التي تحمل في ذيلها أشواكا تحتوي على مادة سامة ، واحدى أنواعها تسبب رعشة كهربائية للمرء لدى ملامستها لجسده . على أن أضخم أحياء البحر الأحمر هي الحيتان ، ومنها حوت العنبر المعروف ، وأشرس أحيائه سمك القرش .

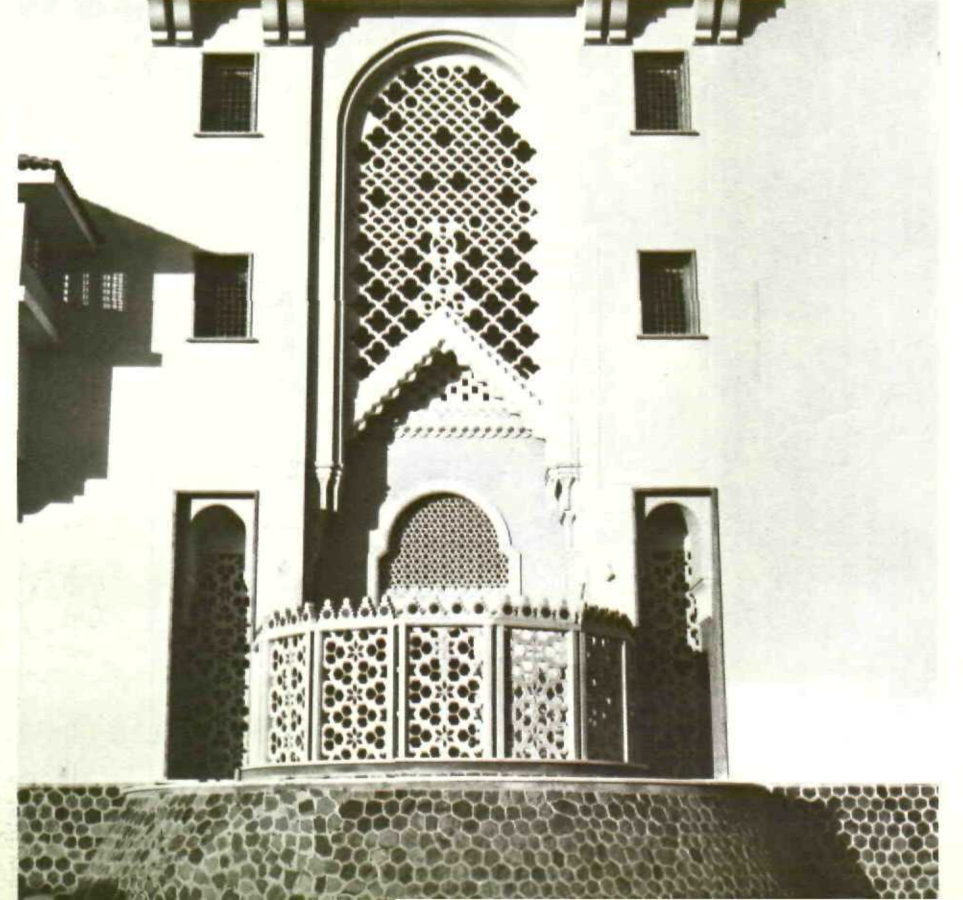
ميناء جدة البحري

لقد جرى تطوير ميناء جدة وتعميقه ، واحاطته بكل عناية من قبل الحكومات التي توالت على هذا البلد للحد من أخطار الشعاب المرجانية فيه . ولكنه لم يعرف الازدهار بالمعنى الصحيح



المال والبنون زينة الحياة الدنيا . طفلان لطيفان اثناء تصوير برنامج الاطفال في محطة تلفزيون جدة .

زخارف ونقوش تزين احد مباني جدة الحديثة .



الا في العهد السعودي بعد الحرب العالمية الثانية . وتبلغ طاقته الحالية ٥٠٠ ٥٩٩ طن سنويا ، وهي موزعة على ثلاثة أرصفة ، يبلغ أقصى عمق لها تسعة أمتار ، مما يجعلها قادرة على استقبال البواخر المتوسطة الحجم والتي لا تزيد حمولتها على مائة ألف طن . وقد بلغ عدد البواخر والصنادل التي دخلت الميناء في العام المنصرم ١٠٧٩ باخرة ، و ١٥١ قاربا وصندلا صغيرا .

وهناك مشروع ضخم يجري العمل فيه حاليا لتوسعة الميناء ، وجعله في مقدمة الموانيء . ويتكون المشروع من مرحلتين ، تشمل أولاهما اضافة خمسة مراسي رئيسية جديدة ، واستصلاح ثلاثة من المراسي الحالية وتعميقها ، بحيث يصبح عدد المراسي الرئيسية عشرة ، ويصبح عمق المياه في كل منها أحد عشر مترا ، وهذا العمق كاف لاستقبال البواخر الضخمة . وتقدر تكاليف المشروع بحوالي ١٢٠ مليون ريال سعودي ، ويتوقع أن تصبح طاقة الميناء بعد انتهائه حوالي ١٥٠٠٠٠٠ طن سنويا .

أما مرحلة التوسعة الثانية فتتضمن زيادة عدد المراسي الى ستة عشر مرسى ، وهي رهن الدراسة في الوقت الحاضر .

مطار جدة

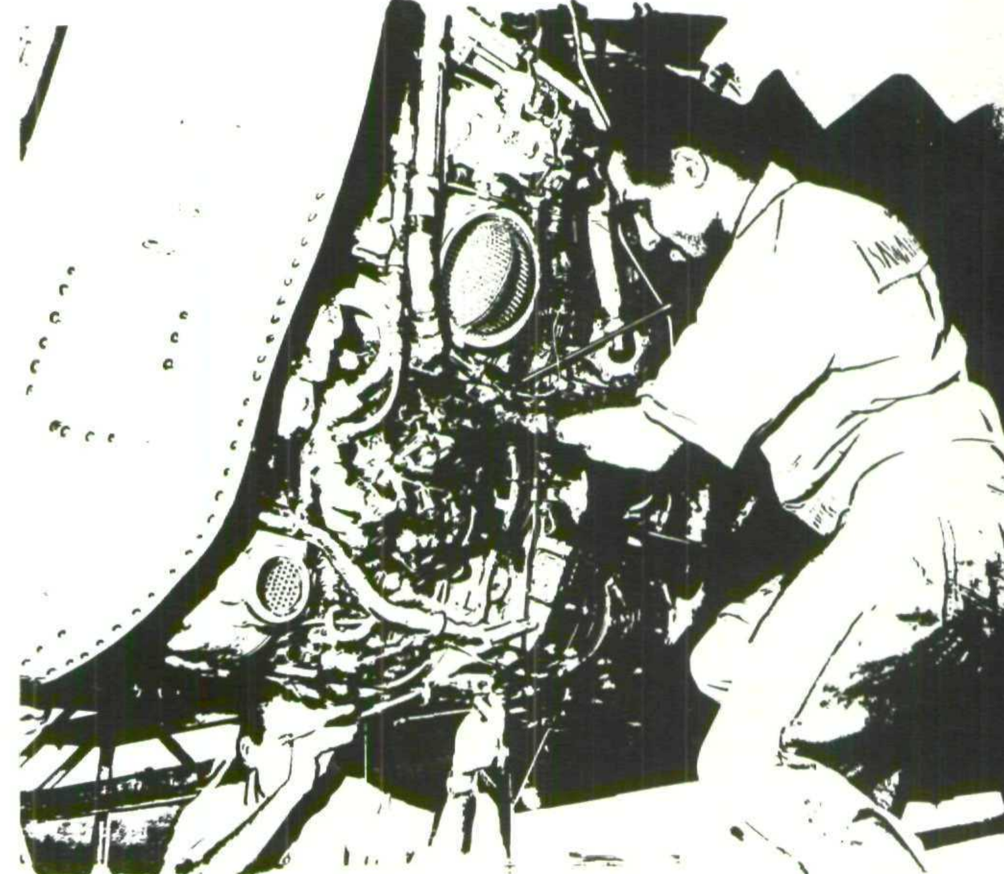
مطار جدة الدولي مطار حيوي دائم الحركة يهبط فيه أو يقلع منه ما يتراوح بين ٣٥ و ١٠٠ طائرة يوميا .

ولا يفوتنا أن نذكر أن في جدة المقر الرئيسي للمؤسسة العامة للخطوط الجوية العربية السعودية ، التي أصبحت اليوم تملك أسطولا كبيرا من الطائرات العادية والنفاثة ، يضم طائرتين نفاثتين من طراز « بوينج — ٧٢٠ ب » ، وطائرتين نفاثتين من طراز « ٧٠٧ — ٣٦٨ سي » ، وثلاث طائرات نفاثة من طراز « دوجلاس دي سي — ٩ » ، وعشرين طائرة من ذوات المحركات الطوربينية العادية . ولمؤسسة الخطوط سبع عنابر للصيانة في مطار جدة الدولي تقوم بمعظم أعمال صيانة الطائرات . والجدير بالذكر أن المؤسسة تعمل ناشطة على جعل طاقمها الجوي والصياني من العرب السعوديين ، فأصبح لديها حاليا ٧٥ طيارا سعوديا لمختلف أنواع الطائرات .

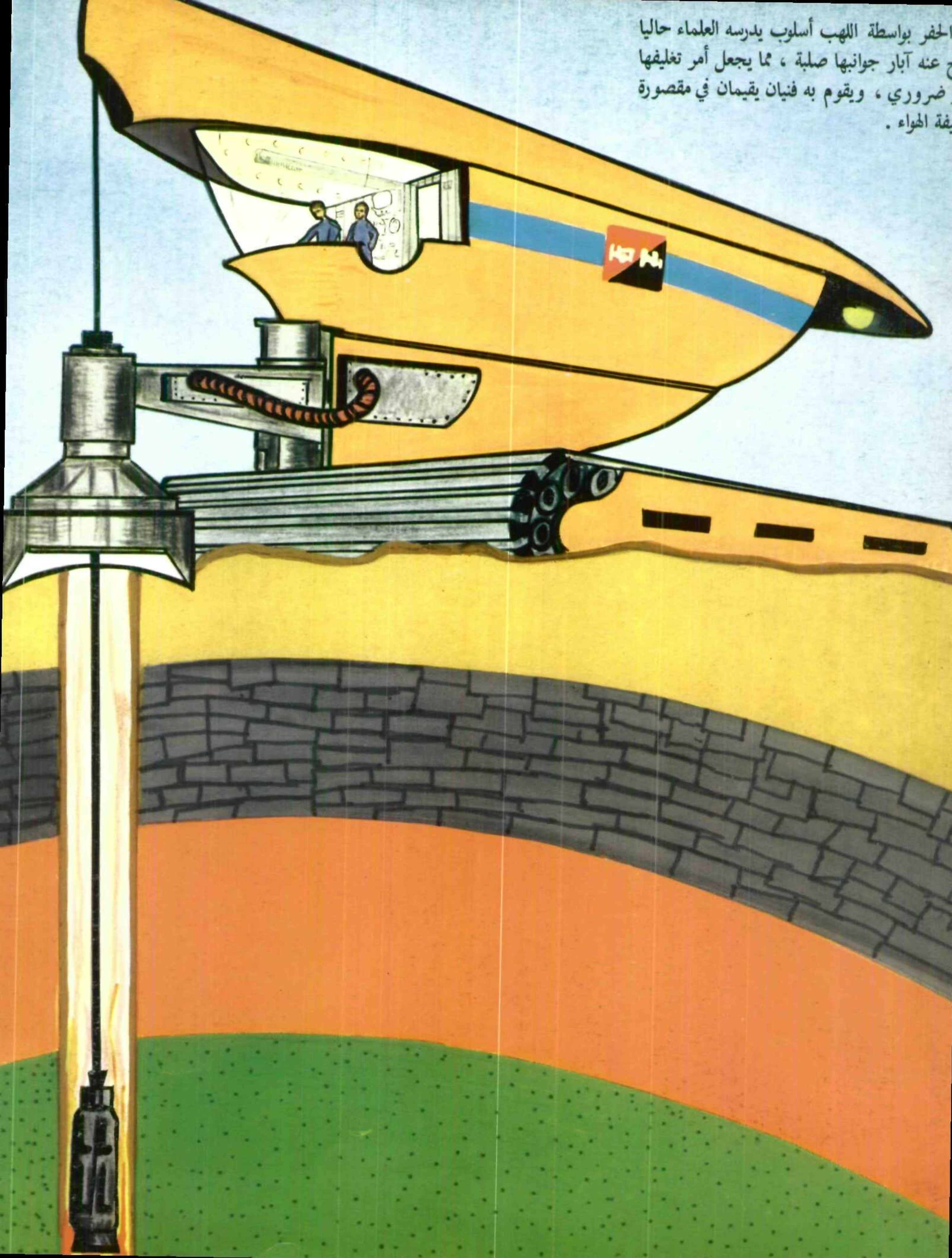
وبعد ، فهذه هي جدة ، الحاضرة التي شاهدت تطورا سريعا ، فأصبحت مدينة تجارية صناعية ، تتسم بطابع الغنى والثراء ■

عصام العماد


متاجر جدة حافلة بمختلف انواع السلع والبضائع .


لدى مؤسسة الخطوط العربية السعودية في جدة سبع عنابر لصيانة الطائرات يعمل فيها فنيون سعوديون مختصون .


منظر داخلي لأحد مساجد جدة ، تزينه الزخارف والنقوش العربية



الحفر بواسطة اللهب أسلوب يدرسه العلماء حاليا
ح عنه آبار جوانبها صلبة ، مما يجعل أمر تغليفها
ضروري ، ويقوم به فنيان يقيمان في مقصورة
يفة الهواء .